آجات

عِفَّةُ رُوح



تأليف : بوجمعة أمينة

اسم الكتاب : آجات -عفة روح-

التأليف : أمينة بوجمعة

عدد الصفحات : ١٠٩ صفحة

عدد الفصول : سبعة فصول

مقاس الكتاب : ١٤×٢٠ سم

عدد الطبعات : الطبعة الأولى

-الطبعة الالكترونية-

١٤٣٩ ﻫ
٢٠١٨ م

آهات

- عِفّةُ روح -

بوجمعة أمينة

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء:

إلى كل روح صادقة تسعى دوما أن تكون
على طريق الله

تخطئ.. تذنب.. تسرف..
ثم تعود بقلب منكسر
إلى المجاهدين أنفسهم والباقون تحت دائرة
"المحبة والرجاء والخوف من الله"
دمتم طيبين أينما كنتم موفقين من الله
سائلين دوما الثبات ..

تراجعت جدا عن فكرة نشر الرواية بعد أن أتممتها؛
بدأت أفكر في النقد والفشل وأن أخيب آمال من توقع بي الأفضل، خاصة بعد أن نشرت على حسابي بعض الاقتباسات ورأيت تشجيعا؛ كثرة أخطائي النفسية واللغوية كانت حاجزا لأن أكُف عن التفكير في فكرة نشرها مسحت المنشور واستغنيت عن الفكرة ككل مرة ... مرت أيام أدركت أن الفشل هو عدم المواجهة كم من مشاريع وأفكار وأحلام تمنيناها وخوفا من الفشل .. لم نحارب من أجل النجاح فكان حقا بنا أن تحالفنا الخسارة...

أنا لست كاتبة جيدة هذه محاولة لي لأن أكون غدا ما أريد ولأصل لغايتي ~ والتي هي توصيل ذكرى للشباب ~ فان أصبت ونجحت ووصلت كلماتي لقلوبكم فهو توفيق من الله وان أخطأت وأسأت فهو مني ومن الشيطان فاعذروني .

الفصل الاول

(البداية)

في هذه الحياة سيكون هناك
من يحبك ومن يكرهك
من يشفق عليك ومن يتضايق لوجودك
وأنت بين هذا وذاك لا تحاول أن تعرف
حقيقة مشاعر من حولك؛ يكفيك أن تحاول
أن تكون على منزلة عند الله.
واعلم أن كل قلب يحمل ما يكفيه
لا تكن سببا في زيادة الأذى لاحد
واجعل مرورك بسلام على حافة كل
القلوب.

يغدو الصباح مفتاحا لأحلامنا؛ يوم جديد.. جميل.. مشرق.. تتخلله غيوم مبتسمة، ما أجمل أن يبدأ يومك على صوت أمك وهي تخبرك أن آذان الفجر قد حان .

-يوسف أسرع، أخبرتك مرارا بني أن لا تطيل السهر؛ الحق بالصلاة.

يقوم يوسف من فراشه سريعا ليبهج ذرات جسده بوضوئه ليلحق بالسعادة ... أقصد بالصلاة.

يعيش يوسف رفقة والدته السيدة نعيمة التي لا تملك في حياتها غيره، بعد أن فقدت زوجها في حادث مؤلم منذ ما يقارب خمسة عشرة سنة؛ ومنذ ذلك الوقت وهي تعمل بجد لدى مؤسسة خيرية إضافة كونها متقاعدة من سلك التعليم ولم تتوقف عن السعي والمثابرة والعمل حتى لا تشعر ابنها بأي احتياج، وقد طمأن الله فؤادها بأن ترى ثمرة

تعبها بابن صالح لا يعصي أمر ربه ولا أمرها قدر المستطاع...

يوسف شاب في الخامسة والعشرين من عمره، متوسط القامة ذو بنية قوية ولحية خفيفة وحاجبين كثيفين، بشوش ويبعث الراحة في قلب كل من يراه، يرتدي نظارات مربعة مع هندامه الذي لا يخلو من اللون الأسود أو البني، تطفو على وجهه براءة تشي بشخصية متوازنة وهادئة.. مقبل على عامه الأخير في الجامعة، درس المحاماة رضوخا لرغبة جده؛ محببا له قيم العدل وحب ارجاع حقوق الناس وخاصة "حق والده الذي ضاع دون أن يقتص حقه "وكذا مد يد المساعدة للمحتاجين.

فشعور أنك تساعد شخصا كواجب عبادي لله وأخلاقي وإنساني يجعل من عملك متعة كبيرة رغم ما يختالها من عقبات...

-القهوة جاهزة حبيبي.. أسرع حتى لا تتأخر.

-أسعدك ربي يا أحلى أم.

-وإياك يا بني؛ مناي أن تكتمل سعادتي برؤية أحفادي؛ لعل البيت ينبض من جديد قبل أن يتوفى الله أمانته..

-أطال الله عمرك في طاعته يا أمي.. دعواتك...

يخرج يوسف مسرعا ليتمكن من اللحاق بالحافلة ويبدأ يومه الروتيني وسط تهكم رفقائه...

فأن تكون شخصا متمسكا بأوامر ربك ومبادئك وقيمك يجعلك وسط أقرانك ذو العقول المنغلقة شخص انطوائي.. منغلق.. أو بعبارة اخرى تستعمل كثيرا في زماننا شخص " معقد "؛ فامتناعك عن مصافحة من لا يحل لك أو اللغو في الكلام معهم من غير ضرورة، والذي هو أمر الاهي يعتبر شيء مخجل ومعارض للانفتاح في عقول الكثير من شبابنا اليوم للأسف؛ وهي منظومة فكرية غذيت بنماء التساهل الديني الى أن غدت أفعال تجسد على الواقع وتكسر الطبيعة حال مخالفتها...

وربما هذا ما جعل ليوسف مكانة احترام وتوقير لأغلب أساتذته مقابل بعض الزملاء المبغضين الذين لا يرضون بالمكانة و الشهرة الا لأنفسهم...

حسام زميل ليوسف في دفعته ولا يوجد فتاة جعلها تحت تفكيره إلا وكلمها؛ مولع جدا بعيونه الزرقاء لكن للحياء قاع فارغ في جوفه؛ ورغم أن يوسف لم يكن في صف عناده يوما إلا أن نظرات الغيظ والبغض اتجاهه لا تكاد تهدئ؛ ما جعله يقترب منه طمعا في اسقاطه..

فلا تظن أن المسرف في حياته سعيد برؤية الصالحين
حوله؛ هيهات.. كل فاقد لأخلاق أو سمعة طيبة أو حتى روح نقية له كره تلقائي اتجاه كل من حافظ على هالته.. لماذا وكيف؟ هي أمور نفس زيادة على أن الشيطان يزينها أكثر...!

قبل انقضاء الحصة طلب منهم الدكتور أحمد مدرس مقياس القانون الجنائي بحثا بعمل ثنائي للحصة المقبلة؛ لم يتوانى حسام بتضييع أي

فرصة قد تجعله يختلي بيوسف.

-(هفت سريعا) : أنا ويوسف.

توجهت إليه كل العيون على المدرج وحتى الدكتور كتم ضحكته من الحماس الذي توغل على ملامح حسام.

-(سأل الدكتور يوسف) : موافق؟

-(بطريقة لبقة أجاب) : موافق أستاذ.

بدأ يوسف بالتفكير في ما كان يجول في وجدانه منذ مدة طويلة؛ بأن يدعو حسام للحفاظ على فرائضه والابتعاد عن رفقة السوء وان يكون صالحا.

-هذه فرصتي (مكلما نفسه).

بعد تدوين جميع الطلبة عناوين البحث سمح لهم الدكتور بالانصراف.

-اذا متى سنلتقي ؟

-لنقسم البحث للقاءين؛ سآخذ أنا الجزئية الاولى وابحث عنها وأنت الثانية ونلتقي للنقاش مرة ونجمع ما تبقى ونفهرس في المرة الثانية؛ ما رأيك ؟

-موافق.

-هل نجعله في المكتبة ؟

-أفضل أن تحضر عندي للبيت؛ سأستضيفك جيدا لا تقلق!

-في الحقيقة ...

-لا تقلق لن يزعجنا أحد .

-حسنا بشرط أن يكون اللقاء الثاني في بيتنا.

-(حسام متهكما بيوسف) : كرم منك.

لم ينم يوسف طيلة الليلة بماذا سيبدأ الحوار معه ؟؛الصلاة.. الجنة.. الموت.. رحمة الله...؛ فالدعوة هي تغيير منظومة فكر وثقافة الشخص وهي أصعب من اذاعة مجرد رأي بل تحتاج لاستدراج واستمرار ياخد

مدة ماشاء الله فيها أن تتوغل لأنفس المدعوين؛ صحيح يمكن أن تكون بكلمة واحدة أو نصيحة مارة، لكنها لا تخلو من جهد واصرار..

حضر حسام مجلسه بما يمكن ان يبتدئ انحراف أي شاب.. سجارة الموت المتخفت وبعض من الافلام المخلة بالحياء؛ وطلب من الخادمة حنان بعض من المقبلات المالحة استضافة له.

جاء اليوم الموعود؛ خرج يوسف من بيته متجها لموعده مع حسام وهو يردد أذكار المساء؛ وحين وصل لحيهم اتصل به ليصف له المنزل بالضبط .

-نعم الفيلا ذات الطلاء الابيض.

-هناك شجرة كبيرة عند البوابة؟

-نعم.. انا قريب من البوابة ستجدني بانتظارك.

لوح له حسام من بعيد وقبل ولوج عتبة ساحة المنزل الكبير أكمل دعاءه.

-"اللهم إني أسالك خير هذه الليلة فتحها ونصرها ونورها وبركتها وهداها وأعوذ بك من شر ما فيها وما بعدها..."

-مرحبا.

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،لم أتأخر عليك؟

-لا أبدا تفضل، فلنتوجه للصالة أولا لنضيفك شيء ثم نتجه لغرفتي لنشرع في البحث.

-حسنا.

-انتظرني هنا سأعود.

اتجه حسام نحو المطبخ ليحضر المقبلات والعصير، وترك يوسف بمفرده.. مرر نظره حول الصالة الكبيرة والديكور الفاخر والثرايا واللوحات الكبيرة التي كانت تزين المكان وقد بدا له المكان ساحرا .. كل قطعة تتناسب مع الثانية بشكل دقيق.

-ماشاء الله،"لبيك ان العيش عيش الاخرة"* .

---

*"قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في الشرح الممتع :إذا خِفْتَ أنْ تميلَ إلى الشَّهواتِ في الدُّنيا التي فيها المُتْعَةُ؛ فتذكَّرْ مُتْعَةَ الآخرة ولهذا كان نبيُّنَا صلّى الله عليه وسلّم إذا رأى ما يعجِبُه مِن الدُّنيا قال:"لبيَّكَ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرةِ".فيقول: «لبيَّكَ» يعني: إجابةً لك، مِن أجلِ أنْ يكبَحَ جِمَاحَ النَّفْسِ؛ حتى لا تغترَّ بما شاهدت مِن مُتَعِ الدُّنيا، فَيُقبل على الله، ثم يوطِّن النَّفسَ ويقول: «إن العَيْشَ عَيْشُ الآخرة» لا عيشُ الدُّنيا. وصَدَقَ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، والله إنَّ العيشَ عيشُ الآخِرةِ، فإنه عيشٌ دائمٌ ونعيمٌ لا تنغيصَ فيه، بخِلافِ عيشِ الدُّنيا فإنه ناقصٌ منغَّصٌ زائِلٌ." الشرح الممتع (11/4)

واذ به يسمع ضحكة خافتة،التفت نحو الصوت.. فوجد فتاة صغيرة تظهر عليها ملامح البراءة بعينيها الكبيرتين الزرقاء، ترتدي فستان بلون بنفسجي تزينه أزهار ذهبية وكأنه لا يناسب فتاة غيرها وشعرها الاشقر الذي يظهر كأنه باروكة من لمعته.

-أتكلم نفسك؟

-(يوسف ضاحكا) : اقتربي؛ ما اسمك؟

-ياسمين.

-ماشاء الله.

-وأنت؟

-يوسف؛ اذا على الاغلب أنت شقيقة حسام؟

-(ياسمين مجيبة له بسؤال بابتسامتها التي لم تفارقها) : وعلى الاغلب أنت رفيقه؟

وبين سؤال وجواب قاطع الحوار حسام.

-تتعارفان اذا!

-لطيفة جدا.

لم تتوقف ياسمين من التحدث مع يوسف أبدا وكأنها تعرفه من قبل وكان أخوها صامتا طوال كل تلك الفترة.. بعد تناول المقبلات طلب حسام من يوسف أن يرافقه لغرفته؛ وإذا بتلك اليد الصغيرة تمسك بحافة قميصه.

-لا تذهب.

-(حسام بغضب): سندرس الان.

-(يوسف بنبره هادئة) : لا باس يمكنك الحضور معنا.

-لا يسمح لي حسام بتجاوز عتبة غرفته.

-(يوسف مترجيا) : فلندرس هنا المكان مناسب.

بعد الحاح طويل استسلم حسام لقرار يوسف بان يناقشوا البحث في الصالة وتم ذلك... قد يبعد الله عنك شرا بمشيئته سبحانه وتعالى أو بدعاء فلا تستهن بالذكر وحافظ على اذكارك فهي حفظ من شياطين الانس والجن؛ **وتيقن انه لن يصيبك الا ما كتبه الله لك.***

* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ:"يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ, وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ." أخرجه الترمذي في سننه.

الفصل الثاني

(حياة الكلّ والتكاثر)

ليس الخلل أن تكون ذا مال كثير أو أولاد أو جاه..
(أَيٍ من زينة الدنيا كانت) لكن الطامة أن تلهيك
وتنسيك ممتلكاتك شكر وحمد الذي رزقك.
لا تكن ممّن انعم الله عليه فرّانَ على قلبه حجاب
أضحى به جاحدا وصار يهلل ها أنا ذا مالي فمن
عليه سلطة بما أنا علوت به.
وفي عصر تعاظم فيه حب التكاثر لأبعد حد عُد للقران
وتدبره ستجد أن الله تعالى ذكر كل ما تهذب به
النفس؛ ولابن القيم رحمه الله كلمة نفيسة حول
سورة التكاثر التي تكلمت عن "الاشتغال بالتكاثر"
قال: "فلله ما أعظمها من سورة، وأجلها وأعظمها
فائدة، وأبلغها موعظة وتحذيرا، وأشدها ترغيبا في
الآخرة، وتزهيدا في الدنيا على غاية اختصارها،
وجزالة ألفاظها وحسن نظمها. فتبارك من تكلم بها
حقا وبلغها رسوله عنه وحيا."
عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين(194)

-يكاد العام ينتهي وقد اقترب موعد التخرج وكل يوم يمضي، تمضي فرصة حسام بأن يمكر بيوسف ويضيق صدره أكثر ببقاءه ثابتا، فشلت دعوته لبيته آخر مرة ولطالما دعاه قبلها للخروج لسهرات مختلطة أو للتسكع رفقة رفقاءه لجلسات ماكانت تخلو من الممنوعات والكلام حول البنات؛ لكن دائما ما يتحجج يوسف بشيء او يغادر لحظة شعوره بوجود شيء يهدد طهر نفسه... لم تبقى له طريقة سوى أن يدخل لحياته فتاة؛ فالنساء هم أكثر فتنة والمرء كثيرا ما يسقط حال تعلقه بغير الله.

- نعم لا يوجد طريقة أخرى سوى أن يحب يوسف فتاة فتغويه ويسقط لا يوجد غيرها؛ لكن من ستساعدني ومن سترضى (مكلما نفسه).

قاطع تفكيره دقات حانية على الباب.

- من ؟

- ياسمين!

- نعم تفضلي!

- هل يمكنك مرافقتي لجلسة التصفية!

- ممم.. متعب جدا اسألي حنان ربما تكون قد انتهت من تنظيف البيت وتستطيع مرافقتك.

- بعيون ناعسة تشي الكثير من التعب والحزن؛ لا بأس سأسالها.

ياسمين ذات العشر سنوات؛ أصيبت بمرض الفشل الكلوي مبكرا ولم تجد عائلتها بعد كلية موافقة لجسدها الذي أضحى هزيلا بالمرض؛ أحيانا لا يكفي المرض وحده ليتوارى تدمير روحنا بل حتى العامل النفسي الذي يحيطنا؛ فكل فرد في العائلة يلهث حول مصلحته وقد تعبت العائلة من ابداء الشفقة لياسمين؛ فهاهو الأب دائما يسعى لجعل شركته الأولى وطنيا وأن تكثر أرباحه يوميا وان كانت المعاملات لا تخلو من الاغتيال والربا، فحين يرنو القلب ويتملك الشيطان توقيع صفقاتك يصبح الحرام عادة سهلة ومستحيل التوقف عنها.. وتلك

الوالدة التي ليس لها من الأمومة سوى انجاب روحين وضعتهم تحت حضن مربية تلو اخرى ولم يكن لها الحظ إلا أن تكون والدة حقا بمفهومها المجرد! كل همها أن توهم زوجها بأنها سعيدة، وان تكون أفضل من صديقاتها "اشتريت سافرت وامتلكت"، ثلاثية التفاخر التي لا تجعل من الشخص سوى كتلة ذات فكر مادي، فيعتاد على البحث دوما عن التكاثر للشعور بالسعادة .. والصدمة : أنها لا تزيد الا تعاسة!

كلا من الوالدين يشعران بالامتنان لأنفسهم أنهم باستطاعتهم تلبية كل طلبات أولادهم؛ احتاج كذا..أريد كذا.. ولا تمضي مدة وجيزة الا وتكون لديهم.

التربية عطاء حب قبل مال؛ التربية بدل الوقت رفقة الأولاد أكثر من بدلها لجمع المال ... التربية أكبر من أن تكون مجرد تلبية رغبات.

بينما كان حسام يفكر غفت عيناه قليلا الى أن استيقظ على صراخ أمه التي قطعت كل تخيلاته.

-ماذا هناك ؟

-أين حنان؟

-ربما ذهبت مع ياسمين لجلسة التصفية.

-تلك الماكرة دائما ما تحب أن تجد فرصة للهروب من العمل؛ من سينظف الصالة الآن؟ لم تتبقى سوى ساعة لوصول صديقاتي.

-نظفيها بمفردك.. قومي بعمل مفيد على الأقل!

-يزداد كلامك تطاولا يوما بعد يوم؛ احترم نفسك!

يغلق الباب بقوة ويتأمل!؛ متى آخر مرة شعرت بلمسة حانية من أمي تخبرني أنها تحبني بكل جميل وسيء في نفسي؛ متى آخر مرة قبلني فيها أبي وبارك لي بانجاز قمت به.. أف لعائلة مثلكم؛كل فرد فيها أناني حتى نفسي لم أعرف كيف أحب أحدا غيري مما ورثته منكم.

استلقى على سريره وجعل نظره للسقف بدأ يسترجع الماضي الأسير بين جدران المنزل الكبير"التعيس"؛يوم كان الاب غائبا في اغلب الأيام حتى المناسبات.. كبرت يا أبي ووجدت على صفحتك على الفايسبوك الكثير من الصور تجمعك بزملاء العمل"عشاء فاخر رفقة اكبر الشركات.. حفلات.. ندوات.. اجتماعات لا تنتهي" ولم تتعب

حتى بالتفكير في اختراع كذبة جديدة "لدي عمل مهم لا استطيع الحضور"؛ هل جلوسك مع شاكلة هؤلاء كان غاية الأهمية منّا لهذه الدرجة ؟؛ولتنتقم منك أمي كانت حال عودتك للبيت تقضي جل أوقاتها بين السوق وعزيمة رفيقاتها لتجعلك تفكر أنها أيضا تستطيع أن تعيش حياتها بسعادة بعد أن أرغمها جدي الذي لا يختلف عنك كثيرا؛ أن الزواج منك سيكون مربحا ومفيدا له وسيجعلها سعيدة؛ كبرت أمي ولم تزدها الظروف الا حبا للانتقام من كل ما يحيط بها كرها لمن افقدها شبابها وحطم أحلامها؛ كبرت أمي ولا زلت اسمع أنينها؛ أحيانا أحس أنها تريد أن تصبح أما جيدة لكنها تزعم أنها لم تنتقم بعد لمن كان سببا لإرغامها بحياة ليس فيها الا الشقاء؛ لكم من مرة تركت البيت بعد أن كانت تكتشف خيانات والدي التي كانت متتالية دون وعي بالمساس بقيمته المنحطة؛ امي ... ربما لازلت حاقدا عليك منذ ان سمعتك تحدثين أبي انك لا تتحملين العيش معه وانك تكرهين كل ما يربطك به حتى نحن.. "انا وياسمين"؛ حقا أمي لم تكوني امرأة واعية تحاول اصلاح خطيئة الكبار بل تابعت الخطأ وكنت منافسة جيدة لهم؛ وأضحيت استطيع أن اجزم أن قلبي أيضا لا يحب لا هذا المكان ولا أصحابه حتى، ولا العالم كله.. ربما انتقلت

العداوة لي وصرت أرى الجميع سيء؛ آه لو يعود بي الزمان ربما لأكون أفضل.. من أين لي بقلب سليم وسط كل هذا الكره؟.

ولماذا غيري يعيشون بسعادة رفقة أهلهم رغم أنهم لا يملكون شيئا؟ في ماذا يوسف أفضل مني؟ كلما مرَّت والدته بالجامعة زارته فيعانقها كأنه لم يكن معها في الصباح! لكم أكرهك يا يوسف.. أنت تحسسني أني ناقص من كل شيء! لماذا؟...

كثير من الأشخاص حولنا يعيش حالة بؤس وسط عائلته ليس ضروريا أن يكون الأهل مشغولون بالمال هناك أم الآن في هذه اللحظة علقت عيونها بالمسلسل الذي شاهدته ألف مرة بالمقابل أبناءها في الخارج يريبهم ويحن عليهم الشارع!

وهناك أب لا يعرف من واجبه إلا جلب لقمة العيش ويكشر وجهه لحظة ولوج عتبة البيت، ويبدأ بالصراخ لأبسط الأشياء؛ لست أنكر جهدهم وتعبهم وربما خبرتي لا تتطاول للتكلم حول هذا الموضوع واعرف أن هناك متاعب كثيرة تسبب ضغوطات وتكلفك لتكون النتيجة عدم الاستمتاع بحقك كأب أو أنت كأم؛ لكن هذه هي سنة الحياة، ماذا لو سرقتم من أيامكم يوما واحدا في الشهر تقضوه رفقة أولادكم؟؛ ماذا لو شجعتم أبناءكم على نتائجهم المتوسطة وأنكم تثقون بهم أنهم يستطيعون أن يكونوا أفضل.. صدقوني سيكون أفضل من أن تقارنوهم بأولاد عمومتهم وخالاتهم!

أنت متعب الان من مشاغل الدنيا؟ ألم تكن على لهفة للزواج؟ وان

تجد من ترافقك دربك فتصبر عليك وتصبر عليها؟ وأنتِ أما كنت تنتظرين فارس أحلامك وتُكَوِنين تخيلات بعقلك اكبر من أن تتعبي في التفكير فيها! ماذا غيرك الآن؟ كلمة "شكرا" لتحضيرها لغدائك ولأعمالها المنزلية تغنيها عن كل شيء؛ وكلمة منكِ بأنك "سعيدة معه" تنسيه شقاء عمله أيضا.

وبعدها قلق وشوق لأن يكون لكم طفل صغير يملئ المكان دفئا وحبا؟ لماذا تسخطون الان عليهم وتقرون بأنهم سبب تعبكم وشقائكم؟

كلماتكم لها وقع على قلب أطفالكم لتحدث عاهة في ذاكرتهم وكفيلة أن ترافقهم طوال حياتهم؛ فإذا أردتم أبناء كما تحبون فتخيروا كلماتكم ! ورجاء في مكان أن تدعو عليهم ادعو لهم عسى الله أن يهديهم ويصلح بالهم.

بعد أن عادت حنان مع ياسمين أخذت حصتها من التوبيخ التي اعتادت على أخذها وكظمها دون أن يصدر منها خطأ؛ فهي مرغمة على العمل لديهم لتخفيف الدّين الذي بين عائلتها وعائلة حسام.

قبل ثلاث سنوات وبعد أن تمكن الفقر من عائلة حنان، وازداد المرض بوالدها الذي ألحق به أن يصبح أسير الفراش ولم يعد يتحمل جلسات التصفية؛ أخيرا جاء دوره ووجدوا كلية موافقة لجسده؛ لكن من سيدفع قيمة العمليات؟

العائلة بالكاد تحصّل قوت يومها..

وتحت حيرة الأم وبكاء بِنْتيها؛ كانت على الجهة المقابلة عائلة تستقبل مرض ابنتها لأول مرة.

الجميع كان يفكر في ما حل به.. كل حزين على طريقته جمعهم رواق واحد ليتبادلوا نظرات الشفقة والمواساة لبعضهم.. بعد أن عرف والد حسام بما حل بعائلة حنان مدّ يد المساعدة، فالمبلغ كان يسيرا عليه؛

وطلب استرجاعه بعد أن يستعيد الوالد صحته وتعود الأمور لصفاء سيرها؛ وهذا ليس غريبا علينا أن نرى طبيعة الانسان تركن لفطرتها حال الضيق..

وكانت المصيبة مات الأب بعد أسبوع من العملية؛ استولى الكرب بحنان وهي ترى أمها قد ابيضت عيناها من الحزن وأختها التي تصغرها بعامين تتوالى هماً وانطوء بما حل بهم؛ في تلك اللحظة لم تتوانى حنان بالتراجع عن التفكير في ترك دراستها وان تبحث عن عمل تعيل به ما تبقى لها في الحياة "امها وأختها دعاء".

بعد تفكير طويل لم تجد حنان أمامها يد المساعدة الا من رجل غريب أكرمهم ذات يوم السيد "أوطول جمال"؛ توجهت اليهم وطلبت منهم أن يحسنوا اليها بعمل حتى تتمكن من تصفية الحسابات بينهم؛ استعطفوا معها وقدموا لها عرضا يخلص عائلتها من الدّين؛ "تعمل مدة خمس سنوات خادمة لديهم دون اجر؛تبيت و تأكل في المنزل الكبير وليس لديها راحة الا يوم الجمعة لتطمئن على عائلتها وتُرَوِح عن نفسها وفي المقابل تتخلص عائلتها من عائق الدّين"؛ استشارت والدتها

ووافقت اذ انه الحل الوحيد حنان تهتم بالدّين والام التي ما عادت تتحمل الوقوف طويلا لتورم قدميها تصنع الحلويات لتجلب القوت اليومي وتسدد مصاريف البيت ودراسة دعاء".

-الم تتعبي من توبيخ أمي لك؟

-لا بأس اعتدت على ذلك؛ تحتاج لشيء؟

-لا.. فقط أردت أن أسالك عن دعاء.

-دعاء! لماذا؟

-امور تتعلق بالدراسة.

-(بصرامة) :حسام لست طفلة صغيرة لأصدق تبريرك.

-أريد شراء حاسوب جديد؛ قلت ربما تحتاج القديم لمذكرتها العام القادم ليس بتالف؛ لكن قد اصدر حاسوب بتقنيات أسرع يساعدني أكثر.

-أصدقا ما تقوله يا حسام! كأنك شققت على صدري؛ كنت أفكر في ما ستعانيه العام القادم وهي بدون حاسوب خاص لتدوين مذكرتها.

-ألم اقل لك أنه أمر يتعلق بالدراسة.

-اعتذر منك لكن تعرف أني أخاف عليها جدا، ولا أريدها أن تشتغل بشيء سوى دراستها.

-لابأس.. لكن أريد مقابلتها شخصيا لأوضح لها طريقة استعماله.

-لا.. لا تتعب نفسك ستتدبر أمرها.

-(بنظرة جدية) : هل تظنين بي السوء؛ لا تقلقي لست معجبا بها.

-(بارتباك شديد) : لم اقل هذا لكنها مشغولة بدراستها وتقضي جل أوقاتها في مكتبة الكلية.

-مكان جيد، حددي لي موعدا معها غدا وأبقي الامر سرا بيننا، تعرفين لو سمعت أمي ستقيم البيت على رأسك.

-(رمقت ريقها وأجابت) : حسنا.. حسنا.

...

-ألو.. من؟

-كل هذه المدة لتجيبي على الاتصال!

-حنان.. كم اشتقت لك أختي؛كيف حالك؟

-بخير وأنت؟ وأمي؟

-كلنا بخير عزيزتي؛كيف حال ياسمين؟

-الكل بخير.

-لم أسألك عن الكل.

-ليس وقت مزاحك الآن؛ اسمعيني تكلم معي حسام اليوم ويريد أن يلتقي بك ليعطيك حاسوبه.

-ولماذا؟

-أليس لديك مذكرة العام القادم؟

-نعم لكن لست بحاجة لشيء من ذلك المغرور.

-كفي عن التذمر الآن؛صدقيني كنت أنوي أن أبحث عن عمل ليوم الجمعة أجني به ما قدر الله لتستطيعين اكمال دراستك بشكل سوي.

-أختي..

-ليس وقت دموعك الآن؛ لا أريد أن ينتبه لي أحد اني أكلمك؛ لدي

طلب منك؟

-طلباتك أوامر؛ ماذا هناك؟

-احذري من حسام؛ خذي الحاسوب وغادري"ماذا يفعل المحتاج... يساير يساير."

-(كتمت دعاء ضحكتها وقالت) : أمرنا مؤسف لهذه الدرجة!.

-لا تقلقي كل الأمور ستكون بخير حبيبتي دعاء لم تتبقى سوى سنتين لأتحرر من هذا العبء؛ أخبريني كيف سيتمكن من ايجادك؟

-على الساعة العاشرة بمكتبة كلية العلوم في الطابق الثاني،القاعة (ب).

-حسنا..علي الآن أن أذهب بلغي سلامي لأمي؛ أحبكم.

-اعتني بنفسك؛ أحبك أيضا.

الفصل الثالث

(الاستدراج ولحظة السقوط)

"في حياة كل عاصٍ معصية أولى
هي الباب الذي فتح أمامه كل المعاصي التالية
المعصية الأولى هي المعركة الأهم
وربما الأكثر حسمًا في حياة كلّ منّا
لا يعني ذلك قطعًا أن نتيجتها نهائية و قاطعة، لكن
يعني أن الأمر يكون أصعب دومًا بعد أن يحصل
السقوط الأول، وسيتطلب الأمر من أجل إغلاق
الباب جهدًا أكبر ومجاهدة أعظم."

أحمد خيري العمري

-عاد يوسف من الكلية ليجد والدته مستلقية على أريكة الصالون وشكلها لا يسر.

-ماذا بك أمي أأنت بخير؟

-أظن أني أصبت بالزكام.

-سأخبر الجار مصطفى لينقلنا الى المستشفى.

-أي مستشفى.. أقول لك زكام، سوف أتحسن.

-حرارتك مرتفعة.

-لا يستدعي الأمر لطبيب؛ سأكون بخير.

قضى يوسف الليلة يعتني بوالدته؛ حضر لها مشروب ساخن بالليمون وأحضر وعاء صغير به ماء ومنشفة؛ ولم يتحرك من جانبها الى بعد الفجر فغفى هو الآخر قريبا منها.

سهرة أمس كانت كفيلة بأن تجعل الأم بأحسن حالاتها؛ يعتني بها فلذة

كبدها...

-صباح الخير أمي؛ تحسين نفسك أفضل الآن؟

-صباح النور؛ الحمد لله أحسن بفضل من الله وببذرة خير رزقت بها.

-مهما فعلت يبقى فضلك علي لا يرد.

-ليس لديك دراسة اليوم؟

-كم الساعة؟

-العاشرة والنصف.

-يا الله؛ ضاعت نصف ساعة ولن أتمكن من الوصول الآن.. لكن ان شاء الله سأطلب الدرس من زملائي؛ المهم أنت كيف حالك؟

-أفضل الحمد لله حفظك الله لي بني.

"سبحان الله حين تمرض الام يعتل البيت كله واذا مرض الأب اختل توازن الأحوال كلها؛ عسى الله ان يغفر لنا تقصيرنا معهم؛ أخبروا أهلكم وأحبتكم بحبكم... هناك من يفضل الانسان الذي يحتفظ بمشاعره ويبرر كلامه بأنه ذو شخصية قوية ! أي قوة؟ولمن يحتفظ بمشاعره؟ لتراب سيغطي جسد محبه غدا ؟

لا تترك كلمة حب واحسان عبر عن ودك لأحبتك* في المقابل أكتم مشاعر الكره والإساءة في قلبك الى أن تموت وإياك أن تتركها تتسلل وتخرج وقت غضبك؛ كن مسلما مسالما إذا تكلم أبهج من حوله وإذا سكت أراح غيره".

---

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعْلَمْتَهُ؟.قَالَ:لَا. قَالَ:أَعْلِمْهُ.قَالَ: فَلَحِقَهُ فَقَالَ:إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ. قَالَ:أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ) رواه أبو داود(رقم/5125)،وصححه النووي في "رياض الصالحين" (183)، وحسنه الألباني في "صحيح أبي داود". وفي بعض روايات الحديث: (أعلمه فإنه أثبت للمودة بينكما) رواه ابن أبي الدنيا في "الإخوان" (69).
قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:" وذلك لما في هذه الكلمة من إلقاء المحبة في قلبه ؛ لأن الإنسان إذا علم أنك تحبه أحبك ، مع أن القلوب لها تعارف وتآلف وإن لم تنطق الألسن ، وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) ، لكن إذا قال الإنسان بلسانه فإن هذا يزيده محبة في القلب ، فتقول : إني أحبك في الله ".

دعاء فتاة على بساطتها تحمل وجها بريئا؛ تحب أن تكون مثل زميلاتها لكن الواقع يأبى؛ مع انتهاء الحصة وحين تطلب احداهن فطورا في الخارج تتحجج بأكلها الصحي وأنها تكره الأكل السريع وانه غير نظيف. قهوة؟ لا أمي تنتظرني فرصة اخرى.. وهذا يتطابق في كل اللقاءات؛ ليس لها محل ثقل في شيء؛ فتاة عادية تكاد تعرف بالنكرة؛ لا احد يعرفها سوى زملاءها في القسم؛ بل وأغلبهم يعرف الاسم فقط بحكم الزمالة فقط؛أما وضعها المزري فلا أحد يدري عنه.

تقدم حسام بخطوات واثقة نحو دعاء التي كانت مندمجة في عالمها تتصفح الاوراق كأنها في سباق مع الأحرف؛ ألقى السلام وجلس مقابلا لها.

-كيف حالك؟

-الحمد لله وأنت؟

-بخير؛ بدون لف ودوران سأدخل في الموضوع.

-أي موضوع؟

-تحسين بأختك؟

-طبعا؛ هل هذا سؤال! توقف.. ما بها حنان؟

-على حالتها وهذا هو المشكل.

-ماذا تقصد؟

-أراك تدرسين في حين اختك الكبرى تقوم بالعمل كخادمة حتى تسدد ديون لا دخل لها فيها مثلك تماما؛ لكنها ليست أنانية وضحت بنفسها.

-الى ماذا ترمي؟ماذا تريد؟ ولماذا تقول لي هذا الكلام؟

-سألت مرة حنان"هل ستبحثين عن عمل آخر بعد مضي سنوات العمل لدينا، قالت"لا سأعود لدراستي"؛ هل تحسين الآن بأختك؟

-(وقعت الكلمات على دعاء وصم سمعها وأحست ان كل شيء يدور حولها) : حقا كيف نسيت أن لحنان أيضا أحلام؛ كانت متميزة بين زميلاتها؛ كيف غاب عني ذلك!

-لو تبدأ الدراسة مع بداية التسجيلات الجديدة ستربح وقتا أكبر لتتخرج؛ لدي عرض لك!

-(بدأت دعاء بتحريك أصابعها وقد بدى القلق على كامل هيئتها) :

تخيفني بكلامك.

-(حسام ضاحكا) : شيء بسيط جدا.

-ماذا تريد؟

سرد حسام لدعاء ما يود فعله بيوسف وان استطاعت أن تعلقه بها قبل موعد التسجيلات القادمة؛ ستصبح أختها حرة؛ ترددت جدا ورفضت لكنه هددها واخبرها انه كان على علم بصحوبيتها بفارس قبل سنة وأنها بدل أن تدعي أنها بريئة تبدأ بالعمل؛ وبعد نقاش طويل وحين لم تعد دعاء ترد لهول الموقف؛ قال:

-على الأغلب لن يقبل طلب صداقتك لهذا سوف أذهب مساء يوم لبيته وأضيفك من حسابه وستقبلين الطلب؛ على فكرة نسيت أهم شيء؛ ما اسم حسابك؟

-(بارتباك شديد) : "دعاء بن فوريد".

-جيد؛ اسمعيني سوف تخبريه انك ترددت لقبول طلبه لكن تأثرت بمنشوراته وقررت أن تصلحي نفسك وحجابك اثر ما حملته صفحته؛ حال ما يرى أن دعوته أتت بنتيجة سينساق للكلام معك؛ ضاعت مني حصة الآن للقائي بك؛ كوني عند حسن ظني، هذا الحاسوب ملك لك الآن ..كوني ذكية وخلصي أختك؛ سلام.

"لا يوجد شعور جامح مثل أن تعرف أنك مستغل."

قبل حضور دكتور الحصة المسائية الاولى التقى يوسف بحسام وطلب منه الدرس الذي غاب عنه؛ وكان الحال أن كلاهما لم يحضر.

-لا تقلق على الأغلب كل البنات حضروا؛تعال معي ؟

اتجه حساب نحو زميلاته وألقى السلام وقبل أن يطلب شيء؛ قامت عائشة من مكانها كأن أحدا يود أذيتها وابتعدت عن الجماعة.

-ما أمرها؟ هل أود التهامها مثلا!؛ على كل من حضر درس الصباح أحتاج لنقله.

-أنا خد وأعده لي غدا أحتاجه.

-لا بأس سوف ألتقط الصور بهاتفي وأعيده لك الآن؛شكرا.

بعد أن ابتعدوا كان يوسف لا يزال يفكر في رد عائشة الذي كان يبدو عفويا وغريبا في نفس الوقت.

-لا تفكر في تلك المتكبرة؛ قيل لي أنها معقدة منذ المرحلة الثانوية لا تكلم أحدا من الشباب، ربما لديها فوبيا الرجال (ضاحكا).

-كانت زميلة لي في الثانوية لكن لم انتبه لهذه النقطة كون أنها كانت الاولى في القسم؛ كنت أظنها مهتمة بدراستها لا غير.

-ربما طلاق أهلها السبب.

-أظنك تعرف عنها الكثير؟

-والدها صديق والدي؛ لهذا أعرفها.

-أتى الدكتور.

-متعب جدا.

-متعب؟ لم تنسى موعد المساء؟

-لا اطمئن سآتي.

كان يوسف قد تواعد مع ابن عمته أسامة أن يحاولوا مساعدة حسام بأن يصبح أفضل؛ وبحكم أن أسامة طالب شريعة وله آفاق كبيرة في المطالعة والبحث وكونه إمام مسجد له طريقة جميلة في المخاطبة والدعوة والإرشاد؛ وقد وعده بالمساعدة.

في المساء ذهب حسام مع يوسف مباشرة من الكلية؛ وأول شيء قام به يوسف هو ذهابه ليتوضأ ويصلي ما فاته بحكم أن الحصة منعته من أدائها في وقتها؛ وفي تلك اللحظات حضر أسامة.

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

-أهلا بالشيخ أسامة؛ مدة طويلة لم أرك.

-تسلم يا غالي؛ أين يوسف؟

-يصلي.

-(بنباهة قال له) : يبدو أنك أشطر منه فقد سبقته.

-لا لم أصلي بعد.

-لم تصلي ؟

-حين أذهب للبيت متعب.

- (ممازحا له) :هل تصلي حقا ؟

-أحيانا.. صلاتي متقطعة الى أن يتوب علينا الله.

-حاول أن تغير نفسك أولا؛ يقول الله تعالى : **{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ }** "سورة الرعد/11" *؛ عسى أن أراك يوما تأخذ إمامة المسجد الكبير القريب من بيتكم؛ سمعت أن الامام صار شيخا كبيرا.

---

*"**{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ }** من النعمة والإحسان ورغد العيش؛ **{ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }** بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها فيسلبهم الله عند ذلك إياها. وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة".تفسير السعدي.

-أنا إمام أتهزأ بي مثلا!! أنا لا استطيع أن اكف لا عن التدخين ولا عن سفرياتي ومتعتي؛ تريدني أن أسجن نفسي وأنا في مقتبل العمر؟

-من قال لك أنك ستسجن نفسك؛ بالعكس الحياة في كنف طاعة الله هي السعادة ورحمة الله واسعة كم من مسرف وعاصي كان لا يترك شيئا من المعاصي إلا ويقبل عليها والآن ممن نحسبهم من خيرة البشر...

قاطع كلامه دخول يوسف وفي حين هو يرحب به، سأل حسام:

-أين الحاسوب الخاص بك؟

-سأحضره لك لحظة.

بعد أن احضره له وبينما اشتغل يوسف بالتحدث مع أسامة لتلطيف الجو قليلا؛ توجه حسام لصفحته على الفايسبوك وبحث عن دعاء وبعث لها طلب الصداقة ثم أغلق الصفحة وأدخل في حاسبه ذاكرة وميضية "Flash disk" ونقل له نص البحث الذي قام به؛ ثم أغلقه

ووضعه على الطاولة؛ وقال:
-أستأذن الآن أتركك رفقة صديقك.
-لم تنهي كأس القهوة بعد؛ والبحث؟
-نقلته الى حاسوبك لم يتبقى لك سوى الفهرس؛ تستطيع عمل ذلك بمفردك؛ أنا متعب.

وقبل أن يتمكن يوسف من التكلم قام حسام وتوجه مباشرة نحو الباب.
-أراك بخير شيخنا.

لم يجد يوسف مايقول، رتب أسامة على كتفه وقال:
-أكثر له من الدعاء عسى الله أن يهديه؛ قلبه بين قدرة رب العباد قادر على تغييره في لمحة بصر.

ولا تنسى أن تسأل الله الثبات؛ كثير ما يغتر الإنسان بما وصل اليه؛ لكن يا يوسف نحن لا نعرف إن كانت أعمالنا مقبولة؛ ولو علمنا ان الله سبحانه وتعالى تقبل منا عملا واحدا لكان أحب الينا أن تختم في

تلك اللحظة حياتنا*[1]؛ فاسأل دوما ربك أن يهبك قلبا تقيا خاشعا؛ وأكثر من دعاء: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك "*[2]؛ أسأل الله أن يهدي صديقك ويجعلك من الصالحين أخي يوسف.

---

*[1]أَخْبَرَنَا أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّار قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يَحْيَى الْغَسَّانِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "جَاءَ سَائِلٌ إِلَى ابْنِ عُمَ فَقَالَ لابْنِهِ : أَعْطِهِ دِينَارًا فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْكَ يَا أَبَتَاهُ فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي سَجْدَةً وَاحِدَةً , أَوْ صَدَقَةَ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ , لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ , أَتَدْرِي مِمَّنْ يَتَقَبَّلُ اللَّهُ : **{ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}** "سورة المائدة / 27 ""

*[2]"روى أنس -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول:"" يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"، قال أنس فقلنا: يا رسول الله آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ -هوقال :"يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" قال أنس فقلنا: يا رسول الله آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟- فقال :نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله -عز وجل- يقلبها".رواه الترمذي: 2140، وأحمد: 12128، وصححه الألباني فيم شكاة المصابيح: 102. "

-آه لو تعلم كم أرتاح لكلامك ولا أمل منه.

-لا تغتر بكلامي أخي يوسف؛ أدام الله علينا نعمة الستر؛ وأعتذر منك لم أستطع التكلم مع صديقك.

-لا تعتذر قدر الله وما شاء فعل.

-رزقك الله على طيبة نيتك؛ أستأذنك الآن لدي حصة تزكية بعد ساعة؛ لا تنسى أنتظرك مع بداية الإجازة؟

-ان شاء الله؛ بارك الله فيك أخي .

-وفيك بارك الرحمن.

الصداقة كلمة ثقيلة؛ أكاد صدقا أراها أكبر وقعا مما عرفت؛ لكن حين تكون مقترنة بحب الله فهي ترتقي لتصبح ذات حلاوة ورونق ليمتزج معناها بمرتبة أعلى ؛وتسمو عاليا لتصبح أكبر من الكلمة الكبيرة ذاتها؛ تصبح أخوة في الله؛ ما أجملها من كلمة وما أروع عبق طريقها؛ تخيروا من الأخلاء ما ترضون مرافقتهم في الحياة الدنيا والآخرة... أحسنوا الاختيار من أجل ذلك المكان السرمدي، من أجل الحلم

الأبدي.. ~الجنة~ رزقنا الله بها جميعا.

عادت دعاء للبيت وقد تخطف لون وجهها؛ هل تترك أختها؟ ولماذا لم يسبق أن فكرت بأحلامها؟

-حنان .. هل كان قلبك كبيرا لدرجة أن تضحي بكل أحلامك من أجلنا؛ وما ذنبك أنت؟ هذا العبء كان الأحق أن يتقاسم بيننا كلنا.

مسحت دموعها وأمسكت هاتفها.

ما الخطأ لو تكلمت معه قليلا؛ البنات يفعلون ما أكبر من ذلك؛ مجرد أسبوعين.. ثلاثة وينتهي كل شيء وتعود حنان لدراستها.

طلب صداقة جديد "يوسف عبدالله" ؛ يبدو طيبا وسيكون فريسة سهلة.

من الجهة الأخرى بينما كان يوسف يتصفح المنشورات الجديدة؛ وصله اشعار قبول الصداقة.

-يا الله كيف أرسلتها! أظن أنني لم انتبه اين وضعت سهم الفأرة؛ يا الله..

وقبل أن يحذف الصداقة؛ وصلته رسالة " السلام عليكم؛ ترددت في قبول صداقتك؛ لكن منشوراتك كان لها تأثير على نفسي وأفكر جدا في إصلاح نفسي خاصة بعد أن قرأت منشورك حول العفة والحياء؛ ماشاء الله عليك تبدو إنسان محترم ويسعدني أن أتعرف عليك؟من أنت ؟"

يغتر الانسان حقا يا أسامة بما وصل اليه من فضل الله وينسى نفسه؛ فهاهو يوسف يوهم نفسه أنه لا خطأ إن ساعدها ووجهها أكثر؛ فقد وصلت دعوته لنتيجة؛ وبدأ يحدث نفسه: ما الخطأ إن تكلمت معها بحدود؟

وهي مشكلتنا كلنا "الله المستعان" أتعلمون إخوتي صحيح جميل منكم نشر الفوائد والعظات بينكم لكن الى متى نفهم أن الرجل يدعو الرجال مثله والمرأة تدعو أخواتها؛ لا يوجد مثل أخي ولن أتأثر وهي مثل أختي ولا أعرفها، كيف سيؤثر ذلك علي؛ شريعتنا جاءت بدقة وتناسق مرتب لا نعلم من حكم شرائع الله علينا الا القليل...

"سد الذرائع "

قبل أن توقد النار وتحرق كل شيء وتدمر ما حولها.. الإسلام يمنع من إشعالها؛ قلوبنا تتعلق بكل اهتمام وبكلمة صغيرة تنحرف؛ خاصة المرأة بمجرد نظرة يمكن أن يتعلق قلبها؛ الإحساس الرهيف في قلبها يبحث عن الاهتمام في كل شيء؛ وجاء الإسلام ليكرمها ويحميها من تعلق قلبها وقبل ان تنكسر منعها من أن تخضع في القول؛ أن تنحرف عن كل طريق يوصلها لتترك مجالا لوصول احد لقلبها إلا بطريقة شرعية؛ أما بخصوص تلك الفكرة الغبية التي نشروها منذ مدة وأخذت بها العقول واقتنعت بها "كيف أتزوجها وأنا لا اعرف طريقة تفكيرها ؟" ؛ لا يا عبد الله.. الاسلام يسر لك كل شيء ووضع لك

الحل الأمثل؛ تتعرف عليها في فترة الخطوبة ان شاء الله يسر بينكما وان اختلفتم وتفارقتم وحدث أن أحبتك وتعلقت بك ستكون بين أحضان عائلة تعرف أنها تمر تحت أزمة نفسية؛ أفضل من أن تعيشها بين نفسها ووسادتها ليلا!

وستكون جالسا بدون قلق مكرما بل وفي قعر البيت؛ في المكان الأجمل والاكثر ترتيبا.. في صالة البيت تنظر اليها دون خوف؛ تسألها دون خداع؛ ويبارك الله لكما ويرزقك ويهبك من كل خير و فرج؛ فاتقوا الله في قلوبكم ..هي ذكرى لي ولكم.

دعونا لا نترك للشيطان فرصة لخداعنا بلباس ديننا، ونكون أطهر وأنقى من تدنيس قلوبنا بهفوات التعلق بغير الله.

اعتاد يوسف التكلم مع دعاء ومع كل يوم بدأت الأحاديث تأخد مجراها بجدية اكبر.. ضاع الورد اليومي وضاعت الأذكار؛ وجمعت الصلوات.

تهاون وتثاقل للطاعات حاله حال كل انسان علق قلبه بغير الله واستهان بصغائر الذنوب واستباح ذنوب الخلوات.

بعد شهر تطاولت نفس يوسف لمعرفة من يكلم؛ كيف تكون؟ وهل سيكون تعارفنا لعلاقة تجمعنا مستقبلا؛ أخذ نفسا عميقا وطلب أن يلتقي بها!

لم تكن بذلك العفاف لتمتنع من التساهل في الاجابة؛ وكان الموعد؛ وتلاه موعد حتى اشتغل عن كل شيء للتفكير في دعاء والأكبر من ذلك حتى في صلاته بات يسهو تذكرا لكلامه معها.

في ليلة بينما كان يتكلم مع دعاء دخل الى بريده ووجد اشعار اضافة

على المسنجر باسم مستعار.

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

-كيف الحال؟

-الحمد لله وانت؟

-الحمد لله.

-وصلني اشعار من حسابك.

-نعم أعرف ذلك.

-أعتذر لم اعرفك من انت؟

-لا تسء الظن بي رجاءا...

اعتبرها هفوة او غباء مني في فترة انتكاسة؛ اعتذر منك؛ دمت طيبا عفيفا طاهرا وجعلك الله من أحب العباد اليه ... كثير من الكلمات في جعبتي لا يسعني ذكر منها شيء الا آخرها دعوة لك بأن يمدك الله ما تتمناه و ييسر لك كل أمورك .. شكرا لك على كل لحظة منحتني اياها بسلام وراحة مجرد رؤيتي لك كنت أهمس لنفسي مازالت هناك ارواح طاهرة وان كنت لا اعرفك ولا اعرف سريرتك لكن صورتك بداخلي اجمل بكثير ؛ اعتذر عن تجاوزي لحدودي ولا

تسء الظن بي رجاءا؛ لا تسأل عن شيء لا من أنا ولا من أين تحصلت على حسابك ولا عن ماوراء هذه الكلمات واعتبرها رسالة مرت بك ذات يوم " أخطأ صاحبها ومازال يسعى لتصحيح ذنبه "

...

لم يكن يوسف على قدر ليهتم بالرسالة شكر صاحبتها ولم يشغل عقله حتى للتفكير في هويتها وما وراء كلماتها؛ بعد مدة ليس بالطويلة أغلقت جهة المرسلة الحساب وأغلق معها الموضوع.

ارتاحت دعاء ليوسف وقررت أن تخبره بعضا من أسرارها؛ مرض والدها.. موته.. ومستواها المعيشي.. وعلاقتها بفارس.. ومع كل كلمة تقولها كان يتمسك بها أكثر ولا يرى أصدق وأوفى منها..

وجاءت لحظة الاعتراف.

-دعاء أول مرة في حياتي أشعر بهذا الاحساس لو تعلمين منزلتك عندي وخوفي عليك والراحة التي تتملكني وأنا أكلمك ... دعاء أنا

"أحبك."

حب... سأتكلم مجددا حول التعريفات
حقاً الحب هو الآخر لم أجد له تعريفا يقتنع به قلبي بما تم تعريفه؛ "ذلك الشعور الذي يتوغل في أنفسنا لترتجف كل ذرة في عمقنا دفاعا عن محبوبنا .." سأتوقف عند هذا الحد حتى تعريفي فاشل؛ كل ما أستطيع أن أجزم به أن الحب أسمى من أن يعترف به بعد شهر من تفاوض كلمات عبر شاشة صغيرة...

الفصل الرابع

مشاعر الخوف

"تختلط مشاعرنا بين الحين والاخر ما بين سعادة غامرة وحزن قاتل، تتقلب تلك المشاعر بداخلنا لتشعل ضجيجا بداخلنا لا نعرف طبيعته فنكتفي بالصمت."

أحمد عطا

تركت دعاء الهاتف من يدها وتوجهت نحو النافذة؛ قال... قال: أنه يحبني.. يوسف شاب لطيف ولا يستحق الغدر؛ وأنا أيضا أكن له مكانة في قلبي لكن ليس لدرجة أن أحبه.
هل أخبره؟ يبدو انه الحل الوحيد وان كان حقا يحبني سيغفر لي؛ وحنان !

حائرة.. بخطوة واحدة ستكسر قلب شخص ممن يحيط بها؛ على من ستكون الضربة ؟
يوسف الذي احترم بساطتها وأحبها وهو يعرف أنها لا تملك شيئا؛ يعرف حتى أخطاءها التي اقترفتها في الماضي... أو الأخت التي ضحت بحياتها واستحملت حياة الذل لتعيش هي بكرامة.

-(مكلمة نفسها) : أولم تنتهي مهمتي؟ يوسف اعترف بحبه؛ أستطيع أن أرسل الرسائل لحسام وتعود حنان؛ وأطلب الاعتذار من يوسف وسيغفر لي إذا صارحته وتنتهي القصة.

كان حسام ذكيا ليعرف تفكير الشباب والى ما سيصل؛ فله من التجارب ما يجرد بها الكتب حول ما حصل معه في علاقته الاولى

التي علمته كيف يتلاعب بقلوب البنات؛ حتى أضحى يعرف من أسلوب الفتاة كيف يستدرجها؛ ويعرف نفسية الانسان المنكسر.. وصلته الرسائل وحان موعد بداية الخطة بالنسبة له.

-ألو حسن ؟لدي خبر مفرح؛نجحنا.
-حقا! يوسف الذي كان يمثل دور الداعية سقط ؟
-نعم ألم أقل لك سيكون يومه قريبا؛ سأرسل لك صور الرسائل وطبق الخطة.

طلبت دعاء من يوسف لقاء بعد الدوام كالعادة لكن هذه المرة ستخبره بكل شيء وتحذره من حسام.
حال انتهاء الحصة توجه يوسف نحو كلية العلوم الى ان استوقفه صوت يناديه.

-حسن؟ كيف حالك؟
-بخير الحمد لله وأنت؟
-الحمد لله.
-يوسف أريدك في موضوع على انفراد لو سمحت.

-(نظر يوسف لساعته ثم قال): هل سيأخذ الموضوع وقتا طويلا لدي موعد الآن ؟

-لا أبدا؛ سأدخل في صلب الموضوع مباشرة مادمت مستعجلا؛ أردت أن أحذرك؛ رأيت مرة مع فتاة تدعى "دعاء" لم أرد أن أتدخل لكن أحزنني أن أراك ضحية وأبقى صامتا.

-دعاء! من أين تعرفها؟

-تعلم اني ارتاد منزل حسام كثيرا فهو صديقي ونتناول كل ما حصل معنا؛ ومرة أخبرني أن هناك فتاة تحبه وتبحث عنه باستمرار وأنه مستكبر عن الموضوع ولا يهتم لأمرها؛ وبعدها بأيام لمحناك برفقتها وأخبرني أنها الفتاة نفسها؛ وليضع حدا لها أخبرها انه رآها برفقتك؛ وأخبرته انك أنت من تتبعها باستمرار وأرسلت له بعض رسائلكم؛ وأخذتها منه لتتأكد؛ لحظة سأريك.

وبينما هو يبحث في هاتفه وضح له أن حسام لم يرد أن يتدخل حتى لا يجرحه أو يحرجه.

أحس يوسف بالدوار ولم يستطع التفكير بشيء كيف لها أن تتلاعب بي وتسخر مني وتستهزئ بي عند الناس؛ لا يمكن.. لكن هذه رسائلي...

-تعرف يا يوسف كلنا مررنا بتجربة أن ننخدع من أقرب الناس لهذا فحاول أن تتوقع كل شيء حتى لا تنصدم بالواقع؛ مررت بنفس التجربة حين أحببت فتاة واختارت شخصا آخر لأنه يستطيع أن يحضر لها ما تحب؛ البنات يا يوسف هذه الأيام تبحث عن مصالحها لا عن الحب..

تابع حسن كلامه إلى أن أحس يوسف أنه لن يتمكن من السماع أكثر؛ تراجع اتجاه مقعد مجاور وأغلق أذنيه بقوة.. " انكسر من شخص قريب من قلبه لم يظن فيه الا خيرا؛ تساهل في أمور دينه ليبقى قربها والنتيجة: انفطر قلبه" ...

-حسن لا اعرف كيف أشكرك؛ هل تستطيع أن تسدي لي خدمة ؟
-أكيد؛ تفضل ؟
-أريد أن يبقى الأمر بيننا حتى حسام لا تخبره؛ حتى لا يشعر أنه السبب.
-لا تقلق سوف يبقى الأمر بيننا كما أنني لن أتركك حتى تتحسن؛ قلت لك انني مررت بنفس الحالة.
-لا شكرا؛ أريد أن أبقى بمفردي قليلا .

-إذا بقيت بمفردك ستفكر كثيرا في الموضوع ولن يزداد الأمر الا سوء".

-لطف منك صديقي حسن.

-قم سآخذك الى مكان ستتحسن نفسيتك.

كان يمشي يوسف رفقة حسن ولا يدري ما يحيط به؛ كل تفكيره "كيف لدعاء أن تفعل هذا بي؟."

ومرت السهرة ووقع يوسف في معصية ربه واستباح حدوده في لحظة ضعف، لم يفكر يوما أنه سيدخل لذلك المكان ولا أنه سيقبل على شرب ذلك السم حتى في هوس تخيلاته لم ترد؛ لكنها حصلت..
استطاع حسن أن يقنعه بأنه سينسى كل شيء ... وبعد تلك الليلة استطاع أن ينعم حسام بطعم الانتصار.. في المقابل مازالت دعاء تتعجب من عدم حضور يوسف وتتساءل لماذا أغلق هاتفه طوال اليوم!
والاكبر من ذلك قلب الأم منفطر في مكان آخر لم يسبق أن تأخر يوسف لذلك الوقت أكيد أصابه مكروه؛ أبت جفونها أن تنام؛ أمسكت قلبها وجلست أمام الباب تنتظر.
بعد منتصف الليل وصل يوسف؛ لكنه ليس هذا ابنها العفيف

الطاهر المهذب؛ ليس ابنها.. مستحيل.
قبل أن تلومه عن تأخره لاحظت تمايله فتراجعت وتوجه هو مباشرة لغرفته دون حتى أن يكلمها.
لم تتمالك نفسها ولم تجد أمامها حلا الا أن تتصل بأسامة؛ لم يتوانى هو الأخير بالحضور سريعا..

-لا أصدق؛ ما الذي أوصله لهذه المرحلة عمتي.. حضري لي كوب قهوة بدون سكر وسأكلمه أنا.

-يوسف أفق ماذا بك؟ من أرغمك على هذا؟ أخبرني؟
-(ولم يتوقف يوسف من تكرار جملتين): دعاء خدعتني.. دعاء تلاعبت بي أسامة...

فهم أسامة انه مقبل بنفسه على الحالة التي هو عليها وقرر أن لا يكلمه حتى يصحو ويعود لعقله.

مر أسبوع غائب يوسف عن الحياة كلها؛ لا يخرج من غرفته؛ ولا يذهب للجامعة ولا يكلم حتى أمه؛ يقضي كل يومه تحت بطانيته

منكسرا مما أصابه وخجلا مما أقبل عليه؛ حتى أسامة نفسه لم يجد طريقة يخرجه بها من جوه؛ ذكره أن الله غفور رحيم ويقبل التوبة وعليه أن لا ييأس من رحمة الله لكن كل كلام أسامة العذب وتذكيراته لم تجدي نفعا..

"أتدرك ما معنى أن تشعر انك وحيد رغم وجود الجميع حولك ؟
ليست قضية غياب الإنسان الذي ترى فيه الحياة كلها لا... لا اقصد ذلك ؛أنا أرمي الى اللحظة الذي تخذلك فيها نفسك فتتخلى عنك!
كأنها تعبت منك واستسلمت لهفوات غباءك..
كأنها تقول لك يكفيني ما قضيته معك..
اللحظة التي تفكر أن الجنون قد بدأ يسيطر عليك..
أرق أرق أرق الى أن يتحول الى ليالي نهارية لا تعرف للنوم طعم، هي حال النفس التي تهوي بعد ثباتها، ترى فضل الله على نفسها وهي تقابل نعم الله بالعصيان.. ".

زاد الامر سوءا على يوسف الى أن امتنع عن الاكل كله، ليس أمر دعاء ما يشغله، بل هوان نفسه ليلقي نفسه في مستنقع قذر رمى نفسه فيه في لحظة ضعف.

-عمتي لا يوجد حل سوى ان نبلغ جدي، حالة يوسف لا تسر أبدا ولا تنسي لديه عرض مذكرة بعد أسبوعين وضيع من الوقت ما يكفي.

-سوف يقتله أبي إن سمع ما فعل،وأخاف أن يضغط عليه، لا.. لا أريد أن اخسره.

-ستخسرينه ان تركته في نفسيته هذه، صدقيني جدي حكيم في مثل هذه المواقف، سيقومه بعون الله ان شاء الله، يوسف يكن له توقيرا خاصا لا يرد له طلبا، أنا منذ أسبوع اكلمه لا يرد على كلامي.

اتصلت السيدة نعيمة بالجد محمد الذي يسكن في مزرعة تبعد عنهم بفارق ساعة ونصف؛ الجد الذي على سمحات وجهه لحية بيضاء تزيده زينة ولمسة شيخ حكيم.. بعد أن سمع بالموضوع اهتز كيانه ولم يصدق أن يوسف أقبل على فعل مثل هذا؛ سارع بركوب أول قطار متوجه نحو المدينة، وحال وصوله امتنع عن أخد راحة بسيطة توجه مباشرة نحو غرفة يوسف واغلق الباب امره بأن يتوضأ ويلحق به الى المسجد المجاور في غضون ربع ساعة والا سيرى مالا يسره؛ المفاجأة أن

يوسف لم يتجاوب معه، وقف الجد محمد ولكم يوسف على وجهه، وما كان ليوسف الا ان ينفجر بكاءا كطفل فقد أمه.

-امامك ربع ساعة.

خرج الجد وكان على يقين انه سياتي...

دخل يوسف بعد لحظات المسجد وجلس بجانب جده، عيونه المتورمة كانت كفيلة لتوحي للناظر اليه انه في حالة يرثى لها.

-اسمعني يا بني : لا أريد منك أن تخبرني ما حدث معك ولا عن احساسك الان ،أريد قلبك.. اعلم جيدا أن الذنوب والكبائر تبدأ في يوم ما بذنب صغير؛ يكون ذلك الذنب في ذلك اليوم بمثابة شيء مخجل؛ بل ويكون فيه من الندم ما أنت عليه الان ما الله به عليم؛ فلا تترك هذا التأنيب يغيب عنك يا ابني وتب الى الله واصدق في توبتك وتأكد انه سيغفر لك ؛ تأكد ما أجلسك هنا وأنت تبكي عن فعلك الا لانه يحبك؛ سأتركك الان؛ ناجي ربك؛ اخبره مجددا بندمك و اصدق في توبتك... ستترتاح يا ابني فقط وأنت بين يدي الله؛ وتأكد أن الله غفور رحيم يخاطب الله المسرف ويقول له عبدي،يقول الله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}

"سورة الزمر /53"*.

---

*"يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه،ويحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال:{**قُلْ**}يا أيها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله،مخبرا للعباد عن ربهم:{**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ**} باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب،والسعي في مساخط علام الغيوب. { **لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**} أي:لا تيأسوا منها،فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا،فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها،فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان،متزودين ما يغضب عليكم الرحمن،ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده،واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك،والقتل،والزنا،والربا،والظلم،وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. {**إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** } أي:وصفه المغفرة والرحمة،وصفان لازمان ذاتيان،لا تنفك ذاته عنهما،ولم تزل آثارهما سارية في الوجود،مالئة للموجود،تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار،ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار،والعطاء أحب إليه من المنع،والرحمة سبقت الغضب وغلبته،ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد،فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة،أعظمها وأجلها،بل لا سبب لها غيره،الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح،والدعاء والتضرع والتأله والتعبد،فهلم إلى هذا السبب الأجل، والطريق الأعظم."تفسير السعدي.

هل لك أن تتأمل بني سعة رحمة الله بنا،لا أشجعك على ما فعلته إن قلت لك أننا جميعنا نخطئ ونمر في مرحلة الانتكاس لكن هذه سنة الحياة بني ولا يوجد أي انسان يقول لك أني أبقى في ذروة إيماني دائما لا يوجد من هو معصوم، فلا احد يمكن أن يسير في حياته و هو ملاك في الارض لا يخطئ، لكن المفلح من أدرك نفسه وتاب...

ما كانت الا لحظات حتى رفع أذان المغرب،كان لأسامة صوت عذب خاشع له غنة خاصة،بعد الفاتحة بدأ بتلاوة بداية سورة العنكبوت وما ان سجد الجميع حتى سمعت له شهقة بكاء هزت كيان من كان حوله.. بعد السلام اجتمع حوله بعض المصلين لكن الجد أمرهم بالابتعاد عنه..

عاد الجد بعد صلاة العشاء بدون يوسف كادت الام تهوي الى الارض حين لم تجده برفقته.

-تركته بالمسجد،سينام عند أسامة،لاتقلقي.

-هل هو بخير؟

-أفضل حالا منا ان شاء الله.

قضى يوسف ليلته بين قراءة القران والقيام، لم يستطع التوقف عن البكاء، مازال يحس بتأنيب الضمير، كيف له أن يطهر نفسه من جديد؟.. لكن الله يقبل توبة عبده.. الله يغفر لنا خطايانا ويفرح بعودة المذنب.. رحمة الله وسعت كل شيء. أقبلوا على ربكم اتركوا كل شيء وراءكم واختلوا به وناجوه يسمعنا جميعا ويفرح بتوبتنا.

ومقابل ذلك.. لا تغتروا بهدايتكم ولا الى ما وصلتم اليه من العلم والطاعة؛ اسألوا ربكم دوما الثبات والعافية في الدنيا والآخرة ولا تحتقروا العصاة بل أشفقوا عليهم وادعو لهم بالهداية فقلوبهم بين العظيم القادر على كل شيء قادر على أن يقلب حياتهم وحياتك في لمحة بصر.. نسأل الله السلامة.

الفصل الخامس

الابتلاء

"روح جديدة أدركت معنى السعادة"

احساس ان الله منع عنك شيئا كنت لتفرح به يوما و تحزن به ابد الدهر، يشعرك بكرم الله لك و ان لا تشتد في حزنك لأنك لا يمكن ان تدرك في تلك اللحظة ما منعه الله عنك وما كان سيصيبك؛ فبعد الابتلاء يأتي الفرج و يأتي تدبير الله لتدرك انك حزنت ليوم و ستفرح كثيرا...

لم تتوقف دعاء من الاتصال به وبالمقابل جهة الاتصال مغلقة وحتى حسابه لم يفتح منذ آخر مرة تواعد معها؛وبدأت تسوء حالتها هذه الايام.. ارهاق شديد.. غثيان.. وألم.. مع تورمات وانتفاخ اليدين...

-هل تستطيع التحكم بمزاجي لهذه الدرجة؟

مع مرور الايام كانت تفكر في أن تغير من نفسها بدأت تحافظ على صلاتها وورها وفكرت بدخول حلقات المسجد.

"أتدرون في اليوم الذي يفكر الانسان فيه أن يغير من نفسه؛ اذا صدق وفقه الله، حقا ستتغير.. ستتغير حياته البائسة الروتينية لحلم جميل، حلقات ود وحب؛ أصوات عذبة ومواعظ تعبق بقلبك لتفكر بترك كل شيء وتبقى هناك، على مر الأيام ستكبر وتبقى أجمل الأيام تلك التي قضيتها في بداية الطريق بين الخلان؛ ستتذكر كل ركن بكيت فيه، كل ركن أخذت فيه قرار ترك شيء لله"..

بعد أسبوع من قرارها بأن تغير حجابها وتحرص على صلاتها أحست لأول مرة بحلاوة الايمان.

-يا الله أين كنت أنا من كل هذا؛ يا رب إني أحاول أن أكون صادقة وأريد أن أتوب من كل خطاياي واعزم أن لا أعود اليها يا رب بت أخاف على نفسي من اسرافها يا رب أصلحني يا رب أصلح اعوجاج قلبي..

-أنت بخير ؟

-نعم الحمد لله.

-لماذا تبكين اذا أختي ؟هل أستطيع مساعدتك؟

-أبكي لما فرطت في حياتي، كنت أعيش أتخبط بين الفتن؛ غافلة وسط ذنوبي؛ والاعظم من ذلك لم أشعر بالاستدراج ابدا؛ لم أعرف نعمة الاسلام ولم أعتني يوما بشعائره؛ كنت ضائعة يا أختي والان فقط أدركت الطريق؛ كنت أرى أوامر الله قيدا والان لا أرى شيئا حرمه الله علينا الا وفيه خير عظيم؛ لا أعرف ماذا أقول لك أختي لكن ..

تابعت دعاء بكاءها بين يدي أستاذتها الجديدة "عائشة" التي كانت تكبرها بعام فقط؛ عانقتها وتركتها تخرج حرقة العذاب التي تعيش فيها..

-ثبتك الله وأدام عليك نعمة الهداية؛ لا تقلقي نحن هنا جميعا لمساعدتك؛ أصدقي مع الله أخيتي وسيوفقك لكل خير؛ لا تأتيك ابدا

فكرة أنك اذا كنت عاصية ومسرفة لا تستحقين مقام الرجوع الى الله؛ بلى وألف لا.. سأخبرك سرا "مع الأيام ستدركين أنك أعلم بحالة العاصي؛ تخافين الذنوب أكبر ممن لم يزغ طويلا؛ تخافين ان ضيعت شيئا من حقوق الله؛ لأنك تدركين جيدا أن لا سعادة الا على طريق الله ستنظرين للعاصي نظرة الشفقة وتودين لو تمسكين بكافة ملابسه وتقولين له افتح عينيك؛ ستبكين في مكان كل من يتنغم بالمعاصي حولك؛ لأنك حقا تعين جيدا الأسى الذي يعيشونه"؛ وفقك الله أخيتي؛ هذا رقمي ان احتجت لأي شيء ستجدينني كلي أذان صاغية واختا ناصحة ما أمكنني بذلك.

-(بعيون دامعة) :كيف أشكرك اختي عائشة.

-كلما تذكرتني ادعي لي بالهداية هذا كل ما أريده.

-هداية؟ حباك الله بكل ما أنت عليه الآن وتقولين هداية؟

-يقول الله تعالى: {فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا} "النحل/94" ،لا تغتري بالمظاهر دعاء أنا ايضا اخطئ؛ وسأكون معك صريحة أمنيتي أن يمر علي يوم لا أذنب فيه؛ أدام الله علينا نعمة الستر..

-كأنك ملاك يا عائشة جئت في وقتك.

...

بعد ذلك الحوار الطويل طلبت عائشة من دعاء أن تنتظرها لحين الانتهاء من خروج طالبات حلقتها؛ وبعدها:

أهدتها قلادة تحمل حجر آجَّاتْ بلون زُمُرُّدِيّ وَرْدِيّ وثَبَتَتْ عيونها فيها وقالت:
-كل شخص في حياتنا هو بمثابة رسالة من الله وأنت في خِضَمّ الحياة حاولي أن تفهمي تلك الرسائل جيدا وفوضي امورك لتدبير الله سبحانه وتعالى... حافظي على نفسك وكوني نقية عفيفة ذات هِمَّة تنبع منك الحياة مثل هذا الحجر؛ ومهما أخطأت تداركي هفواتك وتوبي الى الله كلما أذنبت... لا ندري كم من المرات سنتصادف مجددا لكن أريدك أن تكوني قوية بالله، ومرحبا بك في حلقتي عسى أن أراك يوما خاتمة للقران حفظا وتدبرا وعملا.. يا رب!

بعد ولوجها البيت لاحظت والدتها أن دعاء متعبة جدا وبالكاد تستطيع الوقوف؛ بعيونها المتورمة، والأسى الذي على وجهها.. طمأنت والدتها بانها تحتاج للراحة فقط؛ وقبل أن تغفو وصلتها رسالة:

-"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، شكرا على كل شيء؛ كنت أغبى من أن أصدقك لكن استحق ذلك لتساهلي بأوامر ربي، أرجوا أن تمسحي رقمي ولا تبحثي عني مجددا، يسر الله أمورك."

وقبل أن تجيب قام بجذرها.

-لا أعرف حقا وصفا لابتعاد دون تبرير؛ مؤلم جدا، كنت سأتحمل لو كان هناك تعقيب، أي شيء ولو ينتهي بشجار لا حد له المهم أن يكون هناك سبب..

لم تتراجع بالاتصال على عائشة وقامت بسرد لها كل ما حدث معها منذ البداية؛ هدأت من روعها وطلبت منها أن تشغل نفسها حتى لا تترك للشيطان طريقا لقلبها؛ وأنها ستبتلى و يختبرها الله ليرى صدق ثوبتها..

دخلت عليها الام لتجدها في حالة يرثى لها؛ كتمت الام صرختها بعد ان تصفحتها.

-مابك دعاء؟

-لا شيء امي اطمئني.

دعاء كانت تظن ان نفسيتها هي السبب؛ لكن الام عاد لها شريط

بداية مرض زوجها..

-نفس الحالة يا حنان، تعالي حالا.

نقلت دعاء للمستشفى وكانت الأم قد حرزت بصدق؛ أصيبت دعاء بفشل كلوي، انهارت الام وماعادت تتحمل، يكفيها ما خسرت وعانت؛ الأم التي كابدت أمور الحياة بقلب صابر؛ ابتلاء ما بعده ابتلاء..

- استهدي بالله أمي.
-الحمد لله الحمد لله، يا رب لا تحملني مالا طاقة لي به.

كتمت حنان دموعها وخرجت عند بوابة المستشفى وماهي الا لحظات حتى وصلت ياسمين رفقة السائق.

-هل صحيح ما سمعته يا حنان؟
-صحيح صغيرتي.. صحيح.

انكبت ياسمين في حضنها، وأخيرا أخرجت حنان ضعفها، هي أكثر

شخص يحس بالضياع مما يحصل حولها؛ كبرت وماعادت تريد أن تكبر أكثر، كل يوم يمر عليها تحمد الله أنه انتهى؛ حرمت من طفولتها حين كانت تخجل من فقرها فما كانت تستطيع اللعب خارجا نظرا لاهانة الاطفال لها، من المدرسة الى البيت ما عرفت مكانا حتى عتبة البيت كانت تخاف منها، وشبابها الذي جعل منها سندريلا زمانها، أيعقل ان تيتم وتصبح بين ليلة وضحاها من طالبة ذات طموح الى خادمة! والان تخسر أختها من رأت فيها الامل الوحيد الباقي لمعيشة فيها القليل من الكرامة..

بعد تلقي الخبر انهارت دعاء من الصدمة لم تتحمل وأكدت لهم أنها لن تقوم بالتصفية بدأت تصرخ لدرجة ابتعد الجميع عنها وكل ما مر عليها مريض امسك بكفه على فاهه وأحزنه ما أصابها..

-لن أدخل جلسات التصفية و سأتحمل الموت على أن أمر بما مرّ به والدي، لا تجربوا لن أغير رأيي.

"صدمة تلقي المرض لا تمر بسلام الا على قلب متعلق بربه، مؤمن به، مهما كانت قوة الشخص فإن لم يكن مؤمنا بقضاء الله لن يتحمل.. في المقابل صدقني سيبكي الجميع وسيشفقون عليه، لكن لن يشعر بألمه

أحد الا من مرَّ بنفس حالته.
اللحظة التي يتلقى فيها الانسان خبر مرضه ان كان المرض نفسه أقوى منه فستتحول ردة فعله لغضب وعدم الرضا ويغيب أجر الصبر والتماس حكمة الابتلاء وان كان أقوى من المرض فلن تبدو له نقمة إنما سيراها نعمة لأنه سيدرك قيمة كل ما حوله وأن الله حباه بكل جرعة ألم أجر.
لكل مريض حولكم قدموا له كلمة حب صادقة ليس شفقة إنما بسبيل احساس من قلب، انظروا لهم نظرة الهام لأنهم حقيقة أقوى منا؛ وعلى سبيل الجمال كل تغير يحصل معهم، من سقوط شعر وهزل وهالات أخبروهم أنهم الأجمل."

- أنا سأكلمها؟
-ممنوع دخولك صغيرتي.
-رجاءا، اسمحوا لي سأقنعها.
-(تدخل الطبيب) : تمر بحالة صدمة ستتقبل الامر في الاخير سنشرع بفحصكم حتى نرى امكانية نقل كلية لها، لكنها ستضطر خلال هذا الوقت لعمل التصفية.
-أنا خائفة ابنتي عنيدة جدا.
-(تدخلت ياسمين مرة ثانية): قد مررت بنفس الحالة ولازلت أتحمل

جرعات الالم، أشعر بها أما انتم خائفون من خسارتها فقط، وهي تشعر بذلك حقا، لا تريد شفقتكم وستتحطم نفسيتها أكثر كلما شعرت بذلك، تقول أنها لا تريد جلسات التصفية، لكنها حقا تود بشدة أن تسمع منكم إصرارا لدخوله، تريد أن تستمد ثقتها وقوتها منكم، سترضى وتتألم لوحدها، ستقوى أمامكم وتبكي حين تنفرد بنفسها...

وفي تلك اللحظة فقط، أدركوا جيدا أنه حقا لن يفيد دعاء الا ياسمين فهي الوحيدة التي تستطيع أن تشعر بها والوحيدة التي تدرك تماما ماذا يحتاج المريض.

-(وهي تبكي) : ياسمين حبيبتي.
-جئت لأخبرك بأسراري.
-تفضلي حبيبتي.
-هل رأيتني يوما حزينة ؟
لم تجب دعاء فأكملت ياسمين بثقة.
-أنا كثيرة الغياب عن المدرسة؛ لا أستطيع حتى ان اواظب لعيش حياتي بشكل عادي لكنني أقوى من المرض وسأحقق كافة أحلامي لأنه ليس المرض من يقتل بل كلٌ له أجله.

-تتكلمين كالكبار !

-تعرفين يا دعاء كل من يراني أول مرة يشعرني بالأسى على نفسي خاصة حين يبدي ملاحظته على شعري المستعار أنت أول من تجاهل الأمر وعاملني بطريقة عادية؛ أكثر ما كان يزعجني حين يبادر شخص ويقول " أشعر بك "؛ هذه الكلمة كثيرا مالا تفي بالغرض، يا ليتهم يواسوننا بأعينهم فقط دون هذه الكلمة لأنهم حقا لا يشعرون بكمية الألم الذي نمر به، يقولون مجرد ثلاث مرات أسبوعيا لكنهم لا يفصلون أنها أربع ساعات متتالية من الألم؛ لا أريد اخافتك لكن أعلم أنك قوية لدخول التحدي؛ خدعوني يوم أخبروني انها ثلاثة أيام فقط لأجد نفسي ساعة وبعدها ساعة ولم ينتهي الأمر؛ لا أريدك أن تثقي بنفسك بل ثقي بالله انه الوحيد سبحانه وتعالى من يعلم خبايا الألم التي نرمقها بشدة، انطفاء نضارتنا ماهي الا زيادة لأجورنا؛ لن أخدعك وأقول لك عليك ان تتعالجي من أجل عائلتك كلمة سخيفة أخرى يستعملونها؛ تعالجي من أجل نفسك لتقوي أكثر لتحققي طموحك وتجهزي نفسك ليوم لن يكون فيه أحد معك.

-من أين لك بكل هذا الكلام؟

-نحن نكبر مع كل وجع يا دعاء..

دقة على الباب يصحبها دخول حنان.

-ينتظرك العم عمر اتصلت به والدتك ليعيدك الى البيت، تأخر الوقت.

-(نظرت لدعاء وقالت) : سأعود غدا لندخل معا، سنرى من الأقوى!

بعيون دامعة هزت رأسها بالموافقة؛ وارتاحت حنان وهرولت مبشرة أمها؛ أتت الام مسرعة تلهث بالحمد وعادت لقلوبهم البشرى.

-أمي سامحيني؛ حنان أنت أيضا سامحيني...

تخالطت الأجواء بالبكاء وانتهى وقت الزيارة على أمل العودة غدا لتبدأ رحلة الصراع مع المرض.

فرشت سجادتها على أرض الغرفة التي حوت حسرتها وتفريطها..

-"يا رب أصلحني؛ يا رب اغفر لي وتب علي؛ يا رب طهرني من ذنوبي.. اللهم لك الحمد لما أعطيت ولما منعت؛ أشكرك ربي على كل

شيء؛ يا رب ان قرب أجلي فارحمني برحمتك الواسعة وان طال عمري فاجعله في طاعتك؛ يا رب... ".

وكانت العبرات كفيلة باخراج كل الضيق الذي كان في صدرها.

عادت الى سريرها واستلقت وبدأت تفكر في بداية جديدة، بداية مع الله وحده؛ لا يهم ما مضى ان غفر الله لها؛حتى وإن تكلم أحد عليها بسوء وذكرها بما كانت عليه، لا يهم ان قابل ذلك مكانة عند ربها سبحانه وتعالى..

أتى يوم جديد؛ لكنه يوم بدون "دعاء"؛ غادرت "دعاء" الى من هو أرحم بها؛ لم يصدق أحد.. كانت هنا، كانت بيننا لكنها الآن عند ربها؛ عسى الله ان يرحمها ويجعلها من أهل الجنة.
هوت الأم الى الأرض وأمسكت بقلبها وبدأت تبكي فقد ابنتها؛ حنان لم تكن بعد قد استوعبت فراق أختها.
-لا يمكن ستستيقظ مازلت نائمة..

وصل الخبر لعائلة حسام ويا للصدفة؛ كان حسام أكثر المتأثرين بموت

دعاء؛ أقفل باب غرفته وبدأ يبكي أيامها وأيامه.. بعد أن هدأ قليلا اتصل بيوسف..

-يوسف سامحني..
- لماذا تبكي ما بك؟ هل كل شيء على ما يرام؟
-دعاء لم تخدعك أنا خدعتك.
-لا أفهم ما تقول؛ توقف عن البكاء وأخبرني.
...

ماتت "دعاء" يا يوسف؛ تلك الروح البريئة ذهبت.. مرت أيام عصيبة على يوسف لم يعد يتكلم كثيرا؛ يقضي أغلب وقته بين الدراسة والمسجد والنوم..

"تصل لمرحلة عدم الشعور بأي شيء، لك القابلية أن يبتعد عنك الجميع وبنفسك لن تتردد على الحفاظ عليهم.. من شاء فليذهب ومن شاء فليبقى؛ جمود فكري لحالة نفسية تحس أنه لو توغل أحد لمشاعرك ستبدأ بالبكاء فقط."

كان موتها قادرا على اعادة رؤية الحياة لكل من حولها.. " لا يغتر أحد

بصغر سنه أو سلامة صحته..

فكم من صحيح مات من غير علة
وكم من سقيم عاش حينا من الدهر
وكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا
وأكفانه في الغيب تنسج وهو لا يدري

الفصل السادس

مرارة الواقع تحطم أحلامنا

"ستتألم و تتعلم لدرجة انك لن تأبه لأي خسارة تحدث معك ستتعلم اللا مبالاة و لا تأبه إلا لقلبك لن تصبح نرجسيا انما ستطاوع لإرضاء ذاتك لا أكثر."

تخرج يوسف من الجامعة وبدأ العمل بعد شهر، لم يكن له وقت ليفكر؛ استطاع أن يملئ كل دقائق يومه لينسى! أو يتجاوز ما حدث قليلا.

انتقل الجد محمد في تلك المرحلة للعيش معهم؛ فلم يعد يأمن من أحد؛ وربما كان درسا له أيضا؛ فقد حان الوقت لترك المنزل الذي حواه وزوجه رحمها الله؛ التي كانت له نعم الرفيقة؛ يحب الكبار ضعف ما نحب كأن السنين ترقع المزيد من جيوب الود؛ هو الآخر لم يبرح مكانه كأنه يراها في كل ركن من المنزل!

وفي جلسة عائلية.. أعيد فتح سجل الصفحات الأولى.

-مرت تلك السنوات بما حوت يا نعيمة؛ كان الوقت كفيلا بترميم بعض الجروح؛ يكون الوقت صديقا جيدا للنسيان..

-قلت نسيان!هل ننسى حقا؟

-أحيانا نفعل وأحيانًا أخرى نطاوع ونوهم أنفسنا بذلك؛ تمر بنا لحظات عسيرة نظن أننا لن نخرج منها وتزول، تبقى ذكراها عقبة لتجديد الحزن في قلوبنا؛ لأننا نذكرها دوما، لأننا لا نحاول تجاوزها، لأننا أردنا ان تمر تلك اللحظات كما لم يحدث.. سننسى حين نسامح أنفسنا ونهديها فرصة أخرى؛ صدقيني سننسى حين نحاول ذلك حين نكف عن التفكير في حجم الجرح ونركز على جرعات الدواء .. سنفعل في اللحظة التي نريد ذلك !

-لم أنسى يا أبي ولا أستطيع؛ حتى أن أرتاح وزوجي قد أغ...

دخل يوسف في تلك اللحظة وساد الصمت.

-لماذا توقفت عن الكلام؟

-(بارتباك) : لا شيء نتكلم عن بيع المزرعة.

بعد وفاة دعاء تغير يوسف كثيرا وأصبح كتلة صامتة لا تتكلم ولا تبدي رأيا؛ لكن اليوم أخرج ثورة انتصار صوته ..

-(بعيون بها لمعة العبرات التي توشك أن تودع مستقرها) : مشكلتي انني لا انسى تلك الكذبات التي تعتبرونها صغيرة، اطاوع النظر فيكم لمدة طويلة وانتم تخبروني بموضوع آخر ليس حديث الكلام الذي استوقفتكم فيه؛ هل أبدو غبيا لهذه الدرجة؟ لماذا تغيرون الموضوع كلما دخلت عليكم؟ ليست المرة الأولى لأتجاوز الموقف؛ ماذا هناك؟ ماذا حصل لأبي؟ ألم أكبر بعد لأدخل في نقاشكم؟ كل مرة أستلطف الحال بلابأس سيأتي وقت أتمكن من الالتحاق بأحاديثكم الطويلة التي لا شك أنها تخصني أيضا؟ الى متى يا أمي؟ الى متى؟..

-ربما حان الوقت يا نعيمة الولد لم يعد صغيرا.

-حسنا سأسرد لك؛ لكن أرجو أن تكون عند حسن ظن جدك ولا يصدر منك رد فعل متهور.

اخذت نفسا طويلا وقالت :

-والدك لم يتوفى بشكل عادي بل قد أغتيل .

-ماذا؟ ومن فعل ذلك؟ وكيف!

-يوسف ابني فلتكن حكيما مطاوعا لفكرة الاستماع أولا.

-حسنا أكملي !

-حين قرر الزواج بي كان يعمل لدى شركة كموظف ثانوي ويوما بعد يوم ازدادت خبرته فقرر أن يتبنى شركة خاصة به تكون بداية تحقيق الهامه، كان شخصا لا يرضى بحلم صغير وكان يعجبني هذا الشغف؛ لكن كان يلزمه تمويل بمبلغ كبير ولم يكن يملك الا نصفه، فدخل شركة رفقة رجلين جمال وخالد؛ بدأت الشركة بالعمل وبعد سنتين حققت نجاح مبهر وزاد الطمع يا ابني، كان شرط والدك الوحيد أن لا تدخل معاملات ربوية أو منتوجات محرمة للشركة؛ وبعد مدة ضاق صدر شريكيه بالالتزام الوحيد ولم يعد لهم القدرة بالتفاهم معه؛ كثرت المشاكل كثيرا في الشهور الاخيرة قبل وفاته؛ كان يفكر بفصل الشراكة وأن يكمل كل حد وحده؛ لكنه وقع تحت فخهم؛ وقع على ورقة بالخطأ تسلب كل أسهمه وسلطة تحكمه في الشركة وفقد كل شيء؛ أتذكر ذلك اليوم جيدا عاد مشحوب الوجه؛ لم يكن من النوع الذي يقابل الطعنة بالشجار والانتقام كان حليما لدرجة أنني كنت أغضب كثيرا وأنعته بالبارد والغبي، كنت أرى كل الحياة الوردية التي بناها بمشقة تهدم أمامي وهو لا يفعل شيء سوى الانهيار أكثر؛ نادمة جدا لأنني كنت أضغط عليه.. كان تفكيره محترما مقابل دناءة مجتمعنا؛ وكّل محامي وقرر دخول قضية معهم؛ وبعد يوم واحد من الشروع في

ملف القضية..

(انفجرت باكية ولم تستطع أن تكمل)

-ماذا حدث بعدها؟

-(أكمل الجد) : أرسلوا رجلا ليقتله.

-لا يمكن، هذا لا يحدث الا في الروايات.

-بل يحدث ما هو أقبح من ذلك يا بني؛ مازلت صغيرا لتفهم أن الضحكة التي تواجهك لا تعني كلها مصدر راحة وود يمكن أن تكون كره وحقد.

-وماذا حدث لجمال وخالد؟

-يمهدون لحساب عسير عند الله؛ أتعجب لموت ضميرهم!

-لم يعدموا؟

-لم يحاسبوا حتى يا بني؛ لم نجد دليلا ضدهم.

-ماذا تقول؟

-أمي أخبريني أكثر!

-أخبرك على حسرتي أو على ندمي بعد فقده؟

-ماذا تقصدين؟

-كنت جاحدة للنعمة يا ابني، لم أقدر يوما تعب والدك؛ كنت دائما ما

أقارنه و أخبره أن فلان أفضل منك وفلان يعمل ويجتهد أكثر منك؛ لم أشكره يوما، كنت غبية؛ يسعى لإسعادي ويعمل دون راحة من أجل أن ارضى عنه وأستحسنه؛ وفي المقابل أقوم بافتعال المشاكل حال دخوله للبيت؛ أحيانا أقول أن كل المشاعر السلبية في مكان كنت أستطيع اخراجها في هواية أو رياضة أجمعها كلها وألقي بها حال ولوجه مباشرة؛ لم أكن تلك الزوجة التي يستحقها طيب مثله؛ ومع ذلك كان يحبني ويتحدى كل شيء ليرى ضحكة مني؛ نادمة على أيام لن تعود؛ نادمة جدا؛ لهذا كثيرا ما أحاول التدخل في مناقشات الجمعية حين تحوي موضوعا للزواج؛ الأمر ليس دبلة وبدلة.. بل أكبر من ذلك بكثير.

-يكفي يا نعيمة، استغفري ربك وكفاك لوما لنفسك فهو كان يقدر صغر عقلك بالنسبة له؛ حقا كان بألف رجل، فحتى حين كانت تسوء الأمور بينكم كان يعود لي لأنصحه؛ رحمه الله.

مرت تلك الليلة لكن ما لبث يوسف يفكر.. تغلق كل الأبواب وتنكد عيشتنا لكن مع الله كل الحلول والفرج بإذنه سبحانه وتعالى؛ فوض أمره لله وحمد ربه أنه مات مظلوما وغير ظالم، جملة بألف

سبيكة لا يفهمها إلا عاقل أنعم الله عليه، في وقت أضحى فيه الناس يظلمون دون رحمة ويحسبونها قوة وحيلة.

مرت الأشهر والأيام وسكن الروتين بكيان كل عامل يكابد قوت الحلال، وبدأت العائلة تحاول اقناع يوسف بأن يتخد له خليلة تساعده في أمر دينه ودنياه؛ لكن الأخير كان يغير الموضوع كل مرة؛ متردد من مصيره، خائف من الغد.. خائف من طعنة أخرى تصيبه.

-يوسف هذه المرة لن أسألك عن رأيك في الزواج، سأقترح عليك فتاة، ما رأيك؟ رجاءا!

-أمي رجاءا لا تبدئي من جديد أعلم أين سيذهب تفكيرك.

-في الحقيقة ليست جارتنا فاطمة؛ بل فتاة رأيتها صدفة في زفاف أسامة؛ وأخبرتني عمتك أنها صديقة العروس.

-وما شأني بها يا أمي؟

-اسمعني بني؛ طاوع الكبر بي وأريد أن أفرح بك، واثقة أنها

ستعجبك فتاة ما ان تراها ستعرف أن الحياء قابع بقلبها.

-أمي رجاءا لم يحن الوقت بعد، تصبحين على خير حبيبتي.

-آه.. وانت من أهل الخير بني.

نتغير مع مرور الأيام، أحيانا نتساءل متى آخر مرة كنا صادقين مع أنفسنا، مر وقت طويل؛ ربما حين كنا نبدي حزننا لفقدنا للعبتنا؛ حقا كانت طفولتنا آخر عهد الصداقة مع أنفسنا؛ صرنا أعداء أو ربما ليس لهذه الدرجة، فقد تجاوزت حروفي الحد اللازم لكن أكيد صرنا نتجاهل تلك الحقيقة القابعة بداخلنا، تلك الضحكات والذكريات القديمة التي أصبحت لا تزيدنا الا حسرة على ثقة قدمناها في حق من لم يستحق أدنى اهتمام منا.

بعد أسبوعين من الزفاف اتصل اسامة بيوسف...

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يوسف.

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته؛ كيف حال العريس؟

-أخجلتني.. بخير الحمد لله وانت والعائلة؟

-الحمد لله أخي أسامة.

-هل أستطيع أن ألتقي بك اليوم؟

-نعم أكيد في أي وقت تشاء، هل هناك شيء؟

-لا أبدا؛ اشتقت للحديث معك، المساء مناسب؟

-بارك الله فيك، اذا أنتظرك.

لقاء أسامة هذه المرة بيوسف كان مدبرا من طرف والدته نعيمة؛ فهي قد جربت كل طرق الكلام معه ليقتنع بالزواج الا أنه لم يقبل بعد.

بعد الترحيب بدأ أسامة في الموضوع مباشرة:

-فلندع الرسميات الآن قليلا؛ اسمعني أخي يوسف، ربما أعرف جدا سبب ترددك للزواج؛ لكن أريد أن انبهك بشيء أنت لم تحب دعاء وهذا ليس من الوفاء كما تزعم، انما هو جهل منك!.

-ماذا تقول؟

-لا تقاطعني؛ ما مررت به كانت هفوة وليس حب؛ يا يوسف الحب أكبر مما تزعم؛ أنت لم تكلمها الا مدة وجيزة؛ وما عشت معها ولم تعاشرها وتألفها لتحبها!

هذه هفوة واعتياد كان من الفراغ الذي بنيته لنفسك؛ ومن وسوسة الشيطان ونفسك؛ يا أخي اتق الله؛ الزواج عفة لك وصيانة لدينك كف عن العناد.

-للأسف لا يوجد شيء من كلامك؛ لكن لست جاهز لفكرة الزواج بعد.

-ما الشيء الذي يمنعك يا رجل؟

-موضوع أبي وأيضا خائف أن لا..

-أكمل!

-خائف أن لا أستطيع أن أثق بها!

-لا حول ولا قوة الا بالله؛ متى أصبحت تفكر بهذه الطريقة ؟
-لا أعرف، لكن لا تنسى أني خذلت من الجميع وكل مرة يحدث معي نفس الشيء وكأنني لا أتعلم؛ لا اعرف لما أنا جبان لهذه الدرجة!
-جبان بفكرتك الأخيرة فقط؛ اسمعني أنت قم بالرؤية الشرعية وان لم ترتح لها فلن اضغط عليك مرة أخرى وسأسأل لك عن أخت أخرى حتى تتزوج؛ أما موضوع أبيك فهو على جنب ولا يمنعك هن الزواج أبدا.
-اضحك الله سنك اذا لن تدعني وشأني ؟
-لن أفعل؛ وسنك يا غالي.
-هل عرفت أن أحد الشركاء هو نفسه والد حسام الماكر ؟
-نعم أخبرني جدي؛ لكن رجاءا لا تقل عنه هكذا، لو تراه يا يوسف انقلبت موازين أخلاقه كلها؛ ولم أرى من الطلاب حفاظا على حلقة القرآن والتزكية مثله؛ تغير يا يوسف تغير.
-لا أعرف؛ أحيانا أقول سامحتم وليس لي بهم شأن وأحيانا أخرى لا أستطيع أن أستوعب كره وحقد انسان لم أمسه بسوء يوما.
-أيام طيش يا أخي انسى ما حدث في الأمس وركز على يومك.
-أتظن الأمر سهلا ؟

-أبدا لكن حتى خير الخلق رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم تأذى من قبيلته أقرب الناس منه، من عهدوا عليه الأمانة والخلق، اصطفاه الله على الجميع وهناك من كرهه وحقد عليه من نكون نحن حتى نسلم من الناس؛ يوسف تعلم مما يحدث معك نحن نكبر بمرور البشر بحياتنا؛ نتعلم كل يوم أننا ان لم نتكل على الله ونفوض أمرنا اليه ونثق به وحده نجد أنفسنا من دون هذا مخدولون ضعفاء ليس لنا ناصر؛ أما حسام فهو يعيش أصعب أيامه لا تصدق يا أخي ما يكابده الرجل؛ سلبه والده من كل ممتلكاته بعد أن قرر أن يطلق لحيته ويلتزم بهيأة المسلم، كلما جلست معه ضاق صدري بما يحدث معه ولا أراه الا صابرا، سامحه يا يوسف.

-كان الله بعونه؛ هل يعلم بموضوع أبي؟

-لا أظن ومن الأفضل أن لا تدخله في الموضوع.

كانت كلمات أسامة تقع في قلبه الكلمة بعد الأخرى واستطاع في الأخير أن يسلبه بعض أفكاره السلبية ويقنعه بالاقدام في حياته لغد أفضل لأمته.

ومع كل ذلك إلا أنه يبقى متهور في كل ما يخص قضية والده وقرر أن يسأل حسام؛ وكانت المفاجئة؛ بعد نقاش طويل:

-كل ما أعرفه يا يوسف أن ملك أبي من مال حرام.

-كيف ؟

-النقود التي شارك بها في انشاء الشركة لم تكن حلالا .

-وكيف عرفت ؟

-سمعته يتكلم مع صديقه خالد.

-هل تعرف من يكون ؟

-نعم لكن لا تحاول معي لن أتكلم أكثر من هذا، صدقني هذا الموضوع يؤلمني كثيرا، هل تعرف شعور أنك عشت طوال حياتك تأكل من الحرام ؟

-وماذا تفعل الآن ؟

-كما ترى قد تركت البيت وأحاول أن أبني نفسي من جديد، لو ترضى أمي فقط أن تنتقل معي هي وياسمين.

-وأين المشكلة؟ واعتذر عن تدخلي في خصوصياتك.

-هي لا تريدني بهذا الشكل، تقول أنني ما زلت صغيرا على الالتزام؛ وما أقوم به تهور.

-كان رأيك أنت أيضا في الماضي.

-أعرف، لكن أن تعيش من أجل الغاية التي خلقنا من أجلها شيء آخر، نعيم كبير لو يدركونه.. يوسف أعتذر منك.

-لا عليك غفر الله لنا ورحم من غادر؛ ثبتك الله؛ على كل هل ستساعدني؟

-هناك شخص واحد يستطيع مساعدتنا.

-من؟

-طليقة خالد؛ سمعت أبي مرة يقول له خد منها الأوراق ولو تطلب منك ذلك قتلها، لكن أظن أنه أخدها منها لأن الأمر أغلق بعدها.

-ماذا تحتوي هذه الأوراق؟

-لا أعرف لكنه أمر يخص أبي وخالد.

-هل لك واسطة مع هذه المرأة وهل ستقبل مساعدتنا؟

-لا أعرف فلنجرب.

-لست غاضب كون والدك أحدهم.

-لا تنسى طبيعة عملنا، المسؤولية التي على عاتقنا أكبر من كل شيء؛ سيكون صعبا قليلا لكن.. لا أعرف ربما الخطوة الأولى فقط ستكون صعبة فلنفوض أمرنا لله.

-سأتولى أنا القضية فقط أحتاج للوصول الى دليل لن أكلفك بما لا طاقة لك به.

توصل يوسف للسيدة جميلة طليقة خالد لكنها امتنعت عن مواصلة الحديث في اللحظة التي ذكر يوسف اسم "خالد"؛ تهديد خالد لها جعلها تشك في كل من حولها وأنه يحاول الوصول للنسخ التي تملكها؛ بغضب يشوبه قلق:

-أخرج من بيتي وأخبر سيدك أنه أخذ معه كل الأوراق.

-سيدي؟ لست عميلا عند أحد أريد فقط أن آخذ حق والدي.

-وكيف أصدقك، أخرج من بيتي وإلا طلبت لك الأمن.

خرج يوسف واستولى اليأس به، آخر فرصة له للوصول الى شيء باءت بالفشل؛ والآن ضاع حقك يا أبي في دنيا يعيش فيها الظالم حرا؛ لا أحد يدرك كمية الأذى التي تشوب بالقلب حين ينغلق كل شيء أمامه ويفقد السيطرة على زمام الأمور.. كل مشاكلنا وهمومنا وحتى سعادتنا توحي دائما أنه لا حل ولا فرج الا مع الله، حتى في هوس ألمنا ووحدتنا من كان معنا غير الله، تذكر اليوم الذي تحطمت فيه نفسك وأضحيت تحس أنه لن يجمع شمل نفسك من جديد.. كنت بمفردك لم يقويك الا الله؛ اذا لا تلجئ لأحد وتشكو همك كن قويا بالله وحده يعلم ضيق صدرك ووحده يخفف عنك؛ الذي يعرف سرك اليوم يستعمله غدا في مجاراتك الا هو سبحانه وتعالى.

الفصل السابع

التعفف في الحب لا طريق له سوى الحلال

"أحيانا يكون بداية جديدة وأحيانا أخرى تكون قصة قديمة حلت لتوها؛ تتكابد بنا الأيام بحثا عن احتواء يحمي بقايا طفولتنا، ننكسر اذا خضنا بحثا عنه في الحرام و نتوج اذا كان في الحلال."

" أنا عائشة الفتاة التي نشأت في قعر منزل عان المصائب و الشقاق بين الخير والشر؛ بين الحرام والحلال، لحسن حظي أني كنت برعمة المرأة الصالحة، التي تركت كل الجاه والثروة لوجه الله.

لم أنسى يوما ما عشته في منزل أبي كان كل شيء يدل على انتكاس فطرة الخير في قلبه، لم أعش يوما سعيدا لأحس بشعور الأب، وحتى أمي اعتدت على رؤيتها متورمة العين متعبة من كل شيء.

كرهت في ذلك الوقت شعور الأب والعالم جميعا، خاصة اليوم الذي توجت فيه في كليتي بالامتياز، كنت عفوية التفكير حين طلبت من أبي الحضور، لعل بعض المشاكل تحل في البيت؛ أحرجني ذلك اليوم كثيرا حين استهزأ بي أمام الجميع؛ مشكلتنا كانت أكبر من أن تكون من أجل الدنيا وما فيها، كانت المشكلة في قلبه في الرحمة التي انعدمت في نفسه، كم أشفق عليه لكن الله لا يظلم أحدا.

كبرت وروح الطفلة داخلي لم تكبر كانت دائما تبحث عن الحب الذي لم تشعر به من الشخص الذي انتظرته دائما، أحيانا أتذكر المشهد

الذي تم الحكم عليه فيه، نظر باتجاهي لبرهة وقت.. هل كانت نظرة تقول سامحيني، أو حسرة أنني جزء منه!

لم يعد يهم، الحياة لا تتوقف عند شخص فقد عوضني الله بأم بألف أب لم تتركني يوما؛ لم تحرص على شيء كما حرصت على ديني، لم أكن أفهم ما كانت تفعله فطريقة تربيتها كانت مختلفة عما ألفته في بيوت مجتمعي، لكن الآن أعلم جيدا كل خطوة قامت بها لتبني فتاة مسلمة ليس لها شيء لتفتخر به الا كونها مصطفاة بين الآلاف والملايين لتكون مسلمة؛ اللهم لك الحمد.

تذكرت شيئا كانت تمنعني من أشياء ظننتها في ذلك الوقت منافية للتقدم الذي نعيشه، رأيته ضغطا وتقييدا؛ أخطأت يا أمي يوم تساهلت للنظر في وجهه، كنت أتابعه من بعيد، أرصد كل تصرفاته، ثم أتذكر أمر الله بغض البصر؛ تطاولت مرة لأكلمه، واذا بي أتذكر أمر الله بعدم الخضوع في القول والتساهل بحدودي مع غيري، تربيتك يا أمي كان نهجها القرآن والسنة؛ علمتني أن هذا شيء حرام وهذا حلال، لم أناقشك لأنه كان أمر الله، في حين فشلت تربية آلاف الاباء حين منعوا أولادهم بكلمة هذا "عيب" لم أرى من هذه الاخيرة

الا مراقبة عيوب الناس والترصد لهم للوقوع في أي خطأ؛ علمتني يا أمي أن أعود لربي واستغفره اذا أخطأت، حملت الثقة في قلبي رغم قلة حيلتي وكثرة أخطائي، الا أنني لن أنسى فضلك ابدا.

أحببته حبا عفيفا بعد أن أخطأت وتركت فرصة في نفسي لأتتبعه، ربما صحيح ان الحب فوق طاقتي، وربما كان أيضا خطأ مني أن أتساهل؛ مهما يكن.. كان بيدي أن أكلمه، أن أفتح أحاديث طويلة لا تنتهي، لكن أحمد الله أن وهبني الصبر والتمسك بالدعاء، لم يمر علي يوم الا ودعوت الله أن يصلحه ويكون حلالي، أحيانا كنت أقول ماذا أفعل، هو في طريق وأنا في طريق آخر، ثم أتذكر وعد الله وأنه لا مستحيل مع الله.

حتى بعد حضوره في اللحظة التي اندهش فيها أنني ابنت خالد وأمي التي اتهمته أنه يريد واسطة مني، لم أستوعب أن يصل لبيتنا ثم يذهب ولا تتحقق أمنيتي؛ كنت قد اقتنعت أنه قدر الله وأنه ليس لنا نصيب؛ لتمر الأيام وينتصر شيء في داخلي، حجبته عن الجميع، لم يعلم أحد بتلك الأمنيات الا الله سبحانه وتعالى.

وبعدها أتت الأيام وثقت به أمي وأهدته نسخة من الأوراق وانسابت جرائمهم الواحدة تلو الأخرى لم يكونوا عنصرين فقط بل جماعة كبيرة، عسى أن تستيقظ الفطرة في قلوبهم يوما.

تزوجت الرجل الوحيد الذي أحببته، لكن لم يكن بعناء التكلم معه يوميا واللقاء به وراء علم أهلي، ملكته بدعائي؛ ولا زلت متيقنة أن بالدعاء سأملك كل جميل يتمناه قلبي، سأرعى كل شؤوني بالدعاء وباليقين بربي.

كبرت ولم أستطع أن أتخلص من عفويتي وطفولتي، لكن الحمد لله أني وجدت بجانبي رجلا يتبع في كل خطواته سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيعاملني بلين وحب ويتقبل هفواتي.

اليوم سيكون آخر ورد له ليختم القرآن، قد أصبحت أستاذته، وقد تعاهدنا بتربية اسلامية لأبنائنا كما يرضاها الله؛ لا أحد يدرك سعادتي وأنا مع يوسف وجدت فيه ما بحثت عنه طويلا حماية الأخ وخوف الأب وحب الزوج ورحمة الام وحتى طفولتي تابعتها مع روحه لأنه كان حبا حلالا مباركا من الله."

لن أجزم لكم أن الرواية حقيقية أو من صنع خيالي؛ كل ما أعرفه أنني سأبكي طويلا كلما قرأتها لأن كل الحروف المدونة هنا تنبض في قلبي.

أمينة بوجمعة

تمت

صورة لحجر آجّاتْ



آجّاتْ - عِفَّةُ رُوح -

أهدتها قلادة تحمل حجرآجّاتْ
بلون زُمُرُّدِيّ وَرْدِيّ وثَبَتَتْ عيونها
فيها وقالت :

- كل شخص في حياتنا هو بمثابة رسالة من الله وأنت في خِضَمّ الحياة حاولي أن تفهمي تلك الرسائل جيدا وفوضي امورك لتدبير الله سبحانه وتعالى ... حافظي على نفسك وكوني نقية عفيفة ذات هِمَّة تنبع منك الحياة مثل هذا الحجر؛ ومهما أخطأت تداركي هفواتك وتوبي الى الله كلما أذنبت ...

بوجمعة
أمينة

MONA30199666@GMAIL.COM
AMINA_1926
FCB/AMINABOUDJEMA1926
AMINA_1926